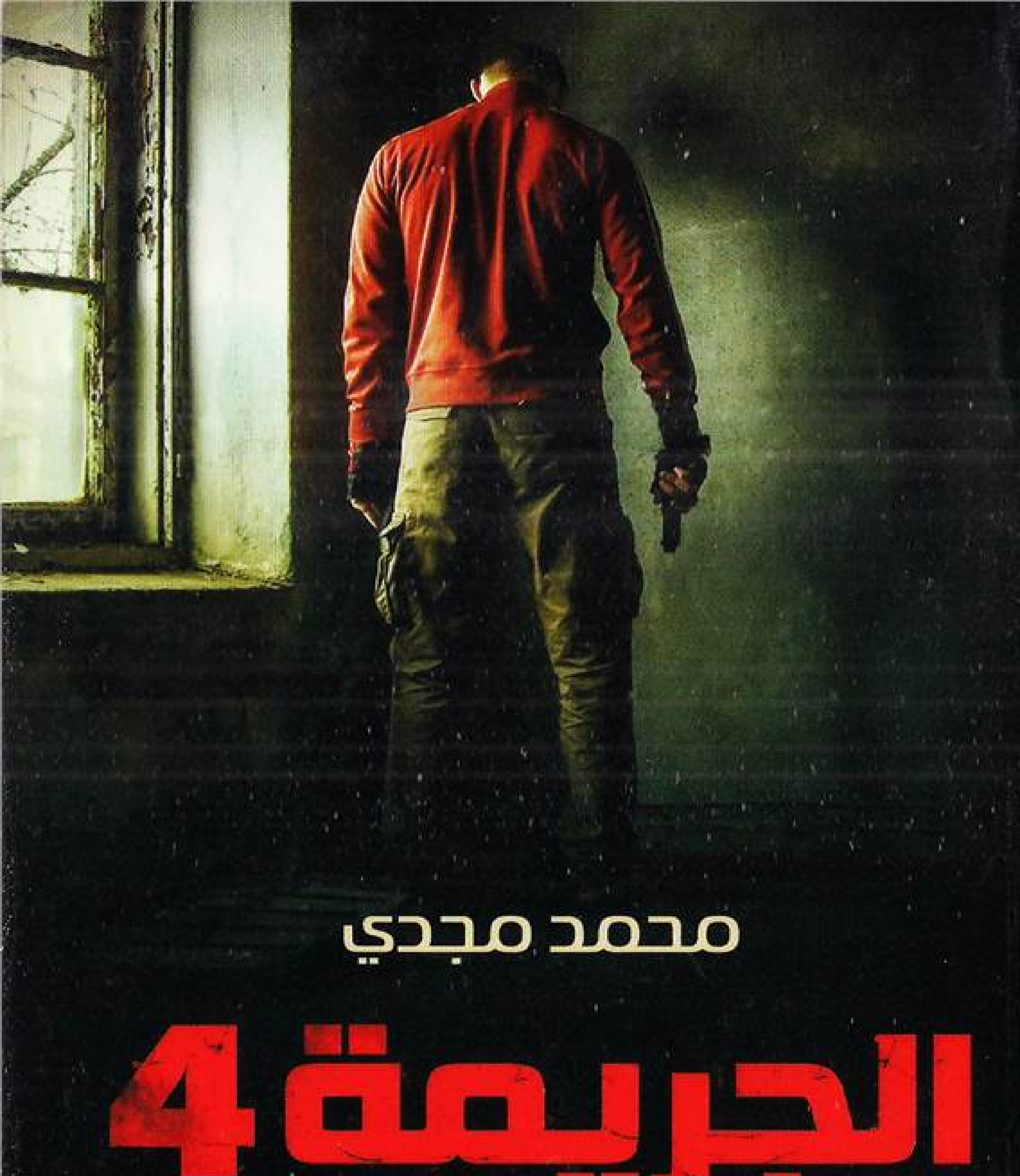


محمد مجدي

الجريمة 4

رواية

[كل الأمور السيئة]

دار دوّن

كل الأمور السيئة

محمد مجدي

رواية



إهــداء

إلى الشهيد بإذن الله «رامي الجنجيهي».. القريب والصديق.. تحيا من خلال دعواتنا ونموت من خلال فقدانك.

أدهم

كان يعلم جيدًا أن الرصاصة إذا انطلقت لا سبيل لاستعادتها.. رغم هذا لم يتردد لحظة واحدة. بدأ في ارتداء البدلة الفخمة غالية الثمن التي اشتراها خصيصًا لهذه المناسبة، وظلَّ يتذكر سؤال البائع المتكرر إذا كان عريسًا لشراء مثل تلك البدلة، ثم وقف أمام المرآة يضع بعض "الكريم" على شعره ويصففه "Spanish" إلى الخلف، عدَّل ربطة العنق ووقف ينظر للمرآة نظرة أخيرة على هندامه.. شعر أسود فاحم، ذقن خفيفة فيما تُسمَى بالـ"Dirty" بين الشباب، قميص أبيض يتماشى مع بشرته شديدة البياض، بدلة وربطة عنق ينافس سوادهما ليلَ شتاء طويل، وأخيرًا وضع يده بجيب البدلة الداخلي لتفقد مقتنياته قبل الخروج.

ركنَ السيارة في مكان بعيد نسبيًا عن الملهى الليلي الذي يحتفل بليلة رأس السنة، ترجَّل وفي خطوات واثقة ذهب إلى البوابة، دفع ثمن تذكرة الدخول، انتقى لنفسه كرسيًا على البار، طلب مشروب "ريد بول"، وأخذ يراقب رجلًا وفتاة وهما يرقصان كأنه آخر يوم في حياتهما، الرجل مفتول العضلات يرتدي قميصًا ذا أزرار مفتوحة حتى صدره،

والفتاة ترتدي بلوزة بدون أكمام وكعبًا عاليًا وتنورة قصيرة تحتها "Stockings" تظهر نهايتها في كل مرة يهتز وسطها. من طريقة رقصهما الخرقاء نعلم جيدًا أنهما قد شربا حتى الثمالة ولم يعد أي شيء يهمهما. وساعد على هذا الشعور الأضواء التي تضيء وتنطفىء في الثانية بضع مرات والموسيقى الأكثر من صاخبة وثمالة جميع من حولهما. ولكن هذا الرجل وهذه الفتاة هما من ظلت عينا «أدهم» تراقبهما لمدة ساعة ونصف إلى أن ترنَّح الرجل وذهب في اتجاه دورة المياه.

بمجرد أن اختفى الرجل تحرك أدهم خلفه. دخل دورة المياه وانتظر أمام باب الحمَّام الذي دخل إليه الرجل. فور أن سمع صوت القفل أخرج من جيب بدلته مسدسًا صاعقًا "Electric Shock".. وبمجرد أن تلاقت أعينهم ضغطَ أدهم على زِر التشغيل ووضعه على رقبة الرجل. بدأ جسد الرجل في الارتعاش وسقط على الأرض. وبهدوء يعطي طابع المستمتع. أخرج أدهم قفازًا أبيض مطاطيًا كالذي يستخدمه الأطباء وارتداه. انحنى على الجسد المسجى وظلَّ ينظر في عينيه لنصف دقيقة. ثم وضع يديه على رقبة الرجل وبدأ في الضغط عليها. ظل يضغط وهو يركز نظره على عينيّ الرجل.. بعد دقيقة تقريبًا بدأ نور الحياة ينطفىء كشعلة نيران تم تركها في الهواء الطلق. عندما تأكد أن بريق الحياة قد غادر عينيه تمامًا تركه مكانه. أخرج أنبوبة "سبراي" وكتب بها على الحائط. ثم غادر المكان في صمت.

العقيد حاتم

على صوت هاتفه المزعج في الثانية بعد منتصف الليل استيقظ، لعن قراره الأحمق بدخول كلية الشرطة وأقسَم إنه لن يجيب على الهاتف حتى ولو كان وزير الداخلية نفسه، وكالعادة تناول الهاتف بعد خمس رنات وضغط زر الإجابة.

أتاه على الطرف الاخر صوت «فتحي» أمين الشرطة الذي يعمل تحت إمرته، يحكي له عن بلاغ مُقدَّم من صاحب ملهى ليلي بوجود جثة ضابط شرطة في دورة مياه ملهاه الليلي، في أقل من ثانية طار النوم من عين حاتم وغادر سريره لارتداء ملابسه.

قبل مغادرة غرفته ألقى نظرة على زوجته النائمة، يالأحلام الماضي التي تبعث على السخرية، ليلة عُرسه أتاه أحد أقاربه وهمس في أذنه "استعد للجحيم القادم"، وبالتأكيد نظر حاتم إليه كما ينظر المرء إلى المجانين وأراد أن يقول له أنا مختلف عن الباقي، هذا الملاك الذي يرتدي الأبيض لا يمكن أن يكون سوى رسولي إلى الجنة على الأرض.. الآن ينظر إلى رسوله البدين الذي لا يقل وزنه عن مائة كيلوجرام، وللأسف الشديد الوزن ليس المشكلة الوحيدة فالمرة الأخيرة التي أزالت زوجته شعر ساقيها كانت منذ زمن بعيد لدرجة أنه لا يتذكر كيف كان شكلها، وإذا تجرأ وفتح فمه بنصف اعتراض يقابل بوابل من الجمل التي لا تغني ولا تسمن من

جوع.. ولكن دائمًا ما تنجح في جعْلِه يشعر بالذنب على شيء لا يعلم تمامًا ما هو. "أفنيت عمري في خدمتك وأولادك وهذا هو الجزاء"، "بعدما نال منّي الكِبَر وقمت بتربية أولادك ستبدأ في النظر لمن هم أصغر سنًا". وأحيانًا الشكوى من عمل المنزل الذي لا ينتهي وعدم رغبتها في البحث عن خادمة بدوام كامل لكيلا تكلفه شيئًا وهذه هي طريقته في رد الجميل.

دائمًا ما تنجح هذه الكلمات في جعله يبتلع شعوره بالنقصان، فأمام الناس أولاده من الأوائل في فصولهم ويواظبون على التمارين في النادي وملابسهم نظيفة وغاية في الأناقة، وخلال أي عزومة يتغزل أهله وأقاربه في أكل زوجته، فكيف له أن يشتكي إذن؟ اهتمت زوجته بكل شيء على حساب الاهتمام بجسدها، وبمعادلة بسيطة دفع هو الثمن، مهما كانت حياتك مكتملة إذا لم يتم إشباع رغبة العشق بداخلك فكل ما تفعله سيذهب سدى، لهذا أصبحت أي امرأة متوسطة الجمال تلفت نظره، وأي صوت أنثوي رقيق يذكِّره بأحلام خلقت لغيره وليس له.

أفاق من تأملاته عندما وصل إلى الملهى الليلي وفتحي يستند على سيارة الشرطة في انتظاره، قبل أن يسأل عن الذي حدث بدأ فتحي في الكلام بصوته الأجش الذي يحمل طيبة لا تُخفَى على أحد:

- سعادة العقيد، وصل الطِّب الشرعي منذ ربع ساعة، القتيل رحمة الله عليه "الرائد وليد سامي رضوان"، كان يحتفل مع صديقته الروسية بليلة رأس السنة، على حد قولها ذهب إلى دورة المياه.. وعندما تأخر

بعثت أحد الجارسونات ليرى ما الأمر، وعندها وجد جثته ملقاة أرضًا.
تقرير الطب الشرعي لم ينتهِ بعد ولكن الطبيب أخبرني أنه مات مخنوقًا.
- حسنًا دعنا نلقي نظرة بالداخل.
عندما دخل حاتم إلى دورة المياه لم يهتم بالمنظر المؤلم لجثة زميله في سلك الشرطة، ولا إلى الطبيب الشرعي أثناء انهماكه في عمله، ما وقعت عليه عيناه.. وما لم يعلم أنه سوف يسيطر على حياته لفترة طويلة.. ما كُتب على الحائط أعلى الجثة عن طريق سبراي أسود وبخط سيء متعرج:

"من اغتصاب المساكين، من صرخة البائسين، الآن أقوم يقول الرب أجعل في وسع الذي ينفث فيه".

شـــذى

لكل شخصٍ يومه المفضل في أيام الأسبوع. البعض يفضِّل الخميس لأنه آخر أيام العمل لكثير من الموظفين وجميع الطلبة. آخرون يفضلون الجمعة لأنه أول أيام الإجازة الأسبوعية. أما «شذى» فتعتبر السبت هو يومها المفضل.. لأنه اليوم الوحيد الذي يخلو فيه المنزل لها. فتستيقظ في الصباح بكسل وتمضي عشر دقائق تتقلب في السرير. ثم تذهب إلى المطبخ وتضبط آلة عمل القهوة. في حين غليان الماء تخلع قميص نومها وترتدي ملابس تمكنها من الجلوس في الشرفة. تأخذ كوب القهوة الساخن وتذهب إلى جلستها المفضلة التي يطل جزء صغير منها على النيل والباقي أصبح أمامه بنايات عالية.

لجلستها هذه سببان. الأول هو الاسترخاء والاستمتاع بالقهوة. والثاني هو تقييم لموضعها في الحياة. ومحاولة الإجابة عن السؤال الذي أمضى فيه الفلاسفة والمفكرون عمرًا بأكمله من دون الخروج بإجابة واضحة. كيف ومتى ولماذا سقاها ملاك الحب من كأس الغرام؟ في الظروف العادية كانت لتترك نفسها وتستمتع. ولكن ما يؤرقها هو أن أدهم.. لا تعرف ما هي الكلمة المناسبة لوصفه.. يمكننا أن نستعين بلفظ غريب.

المرة الأولى التي شاهدته فيها كان يجلس في أحد المقاهي الراقية بحي المعادي، يتناول القهوة الأمريكية كما لاحظت ويقرأ كتابًا. مع كل رشفة قهوة كان يترك الكتاب من يده وكأن لديه كل الوقت في العالم. لفت نظرها وسامته الخشنة، كان أبيض البشرة، مع شعر أسود داكن تم تركه هائشًا باستهتار، وذقن خفيفة كالكثير من الممثلين هذه الأيام، وجسد يميل إلى النحافة مع عروق بارزة في ساعديه. أما ملابسه فأقل ما يقال عنها أنها مختلفة.. ليست سيئة ولكنها مختلفة عما يرتديه شباب هذه الأيام، معظم الوقت يرتدي "تي شيرت" أبيض فوقه قميص مفتوحة جميع أزراره، لا يمكنك أن تحدد لون القميص الرئيسي من كثرة تداخُل الألوان كقمصان التسعينيات، أكمام القميص تم ثنيها بلا مبالاة حتى وإن كان الجو باردًا.. والسروال داكن اللون من نوع الجينز، أما الحذاء فكان بني من نوع Caterpillar.

عندما لاحظت صديقتها المقربة شيري (اسمها شيرهان ولكن جميع أصدقائها ينادونها شيري) أنها التفتت أكثر من مَرَّة إلى الشاب الجالس وحيدًا في ركن المقهى.. نبهتها أن الكتاب الذي يقرؤه هو الإنجيل، وبدون مزيد من الشرح غضت شذى النظر عنه تمامًا، حتى عندما اجتمعت مع أصدقائها في هذا المقهى مرات أخرى ووقع نظرها عليه لم تلتفت إليه. إلى أن رأت الكتاب الذي يمسكه، كان مصحفًا كريمًا.. وقتها اجتاحها شعور غريب، هو مزيج من الفضول والإعجاب الذي تم إخفاؤه من قبل لسبب معين وقد تم إبطال هذا السبب الآن، أو على

الأقل تم تعطيل هذا السبب مؤقتًا لحين حسم الأمر. عندما أخبرَتْ شيري، أجابتها أنه مختل عقليًا، ولكن شذى لم تستمع لها وغلبها إعجابها به المغلف بفضول، فبدأت بالذهاب إلى المقهى من دون أصدقائها لاصطياد فُرَص رؤيته. حفظت مواعيد تواجده وأصبحت لا تفوتها، ومن ضمن أسباب افتتانها به.. أنه شخص منفصل عن الواقع، ليس له أي تعامل مع من حوله وكأنهم غير موجودين أو كأنه يعيش وحيدًا في هذا العالم، فأصبحت تنظر إليه طوال جلستها من دون حياء كما كانت تفعل من قبل، وفي إحدى المرات رأته ينهض ويتجه نحوها، ارتبكت ولكنه كان قد وصل إلى طاولتها، وبابتسامة ساحرة تذيب قلوب العذارى قال:

- هل أشبِه شخصًا تعرفينه؟ لا أقصد التطفل أو المعاكسة ولكني أشعر أنكِ تنظرين إليَّ منذ فترة..

كانت هذه أولى كلماته لها ولم تكن الأخيرة، وكأن هذه الجملة القصيرة هي المفتاح إلى حياته، ظلا يتحدثان يومها أكثر من ساعة، واتفقا على اللقاء في اليوم التالي في نفس الموعد، ومع تعدُد اللقاءات أصبحت مرتبطة به كأنه قلبها الذي ينبض.. إذا ما حدث له شيء توقف عن الحياة.

كان شخصًا معزولًا تماما عن الواقع، معلوماته السياسية عن الثورة لا تزيد عن معلوماتها في اللغة اليابانية، لا يوجد لديه نادي كرة مفضل، لا يعمل ويعيش على وديعة باسمه في أحد البنوك، يسكن

شقة في الدور الأرضي بأحد الشوارع الهادئة بحي المعادي، ليس لديه أصدقاء ولا أقارب ولا حتى معارف. اللهم إلا هذه السيدة المسنة التي يذهب لتناول الإفطار معها كل أحد.. والغريب أنه يقوم بتنظيف بيتها وغسيل جميع ملابسها. ليست أمه ولا قريبته. قامت بسؤاله بعدد شعرات رأسها عن ماضيه وجامعته وأسرته.. ولكنه يرفض الإجابة بهدوء وبساطة وكأنها تسأله عن سعر أحد القطع في محل ملابس. وفي إحدى المرات عندما ألحت عليه.. قال لها إن بإمكانه إخبارها أي شيء من حياته، في الشهور الماضية، بالتحديد من شهر يوليو الماضي إلى الآن، فقبل هذا التاريخ.. حدثت كل الأمور السيئة، وليس بإمكانه الحديث عنها.

أدهم

كما تستقبل الأرض الصحراوية البور التي تشققت من كثرة الجفاف. الماء، وكما تضع الممرضة الحنون المطهّر على الجرح فيطيب، وكما تقبّل امرأة رقيقة رجلًا ثائرًا فتقوم بتهدئته.. كجميع ما سبق اخترقت شذى حياة أدهم الذي أقسم على العيش وحيدًا حتى آخر يوم في عمره، كيف أصبحت الاستثناء الذي يثبت صحة القاعدة؟ فتاة تملك الجمال الهادئ، فهو يحب شعرها البني الناعم المنسدل على كتفيها. وبشرتها البرونزية التي تبدو دائمًا وكأنها خرجت من المسبح لتوها. عينان عسليتان تتوسطان وجهًا جميلًا ولكنه ليس ملفتًا للنظر، لن تلحظه إذا مررت من جانبه.. ولكن إذا حدث وخضت حديثًا معها ستقع في غرام هذا الوجه وتتمنى أن تنظر إليه إلى الأبد، عيناها محاطتان بكحل جذاب، شفاه مصبوغة بلون بني داكن، أظافر مقلمة وطويلة نسبيًا تداعب يده في كل مرة تجلس بجانبه. طيبتها المبالغ فيها ومغفرتها لكل من يسيء إليها، عندما حكت له عن والدها الذي تركهن هي وأمها وأختها الصغرى وانقطعت صلته تمامًا.. أخبرته أنها لاتزال تحبه وتحترمه وتتمنى رؤيته.

كل ما فيها يجذبه إليها ويجعل فراقها أمرًا صعبًا لا تقوى عليه نفسه. حاول أكثر من مرة أن يقطع صلته بها، ولكن في كل مرة كان يؤجلها للمرة القادمة.. إلى أن علم أنه أمر غير موجود ضمن الأوامر التي يصدرها العقل لأعضاء الجسد لتنفيذها. لذلك استسلم للقدر وانتظر اليوم الذي ستكتشف فيه حقيقته وتُجرَح كما لم تُجرَح من قبل، وقتها يشك أن تسامح وتغفر كما فعلت مع والدها.

ضحك كثيرًا في المرة الأولى التي جلسا فيها معًا.. عندما سألته عن السبب الذي يجعله يقرأ الإنجيل والقرآن في نفس الوقت. أخبرها أنه مسلم، والإله الذي تدعو إليه الأديان السماوية واحد، وأن التعاليم في جميع الأديان السماوية واحدة، وكل ما أراده هو أن يعلم كيف تحدَّث كل دين عن هذه التعاليم على حدة ليستطيع تكوين أفضل فكرة ممكنة عن طريقة تنفيذها. بدا عليها الارتباك وعدم الفَهم.. وسألته هل أنت متعدد الديانات؟ ضحك كثيرًا من سذاجتها أو طيبتها التي تدفعها للتحدث عما بداخلها من دون تفكير كالأطفال. وأخبرها أنه مسلم ولكنه يحب معرفة ومقارنة وجوه التشابه بين الأديان وقد وجدَ تشابهًا كبيرًا يصل إلى أكثر من تسعين بالمائة.

يواجه صعوبة شديدة في تفسير حياته لها. فالشخص الذي يعيش بمصر وليس لديه أقارب ولا أصدقاء ولا معارف هو ببساطة شديدة غير موجود. خصوصًا لو كان شابًا لم يتعدَ التاسعة والعشرين. سألته

كثيرًا إلى أن يئست من الحصول على إجابة، وكفتاة طيبة احتل الغرام قلبها، تغاضت عن هذه النقطة رغم أهميتها.

اليوم سيذهب ليشاهدها وهي تشارك في عرض لوحتها في أحد المعارض الفنية في الزمالك، تخرجت العام الماضي من فنون جميلة، لديها مسحة مقبولة من جنون الفنانين.. أحيانًا يظن أن هذه المسحة هي السبب الوحيد الذي يجعلها متعلقة به. تعشق الرسم كما يحب العاشق سماع صوت معشوقته، رسوماتها منافسة شرسة للطبيعة في الجمال، فها هي لوحة لفتاة مراهقة تقبِّل عشيقها في ميدان حرب تضطرم فيه النيران، وها هو طفل صغير يلعب بقنبلة على أرض خراب، وفتاة صغيرة تحاول فتح عين والدتها التي من الواضح أنها ميتة، والكثير من هذه التحف الفنية التي تلمس القلب من اللحظة الأولى.

ارتدى ملابسه، ركب سيارته الأمريكية القديمة موديل ٩٥، شغَّل الكاسيت على الشريط الموجود بداخله.. فدوى صوت مغني فرقة HIM الرخيم يقول:

"كان العالم مضطرمًا بالنار ولا يوجد من ينقذني إلا أنت..

شديد الغرابة ما يمكن أن تجبرك الرغبة على فعله"

دندن مع الأغنية وهو يشعر بالفراشات تلعب بداخل معدته فرحًا وترقبًا لرؤية الجمال الذي يمشي على قدمين ويسمى شذى.

دخل إلى المعرض ووجد المكان شديد الازدحام، بحث بعينيه عنها حتى وجدها أمام لوحتها محاطة بالكثير من الأصدقاء والمتفرجين، كانت اللوحة عبارة عن جندي حرب يرتدي زيّه الرسمي كاملًا بما فيه الخوذة على رأسه والبندقية على كتفه.. يقف في مطبخ أحد البيوت ويقوم بغسيل الأطباق أمام الحوض، وتحت قدميه ثلاثة أطفال لا يتعدى أكبرهم سن الرابعة.. يمسكون بسرواله وينظرون إليه وأعينهم مليئة بالدموع. دائمًا لوحاتها مثيرة للجدل، تقدَّم إليها، كانت ترتدي بلوزة بيضاء مطعمة بالدانتيل، وسروال جينز أزرق داكن اللون، وحذاء "باليرينا" زهري، ساعدها مليء بالأساور، وشعرها معكوص إلى الخلف عن طريق عصابة للرأس Head Band، فور أن رأته تركت جميع من حولها وركضت لتستقبله.

- «قفي قبل التفرق يا ظعينا.. نخبرك اليقين وتخبرينا».

كان هذا أحد أبيات شاعره المفضل عمرو ابن كلثوم.

- مرحبًا شذى، أرى أن الناس قد تجمعوا حول تحفتكِ.

- كفاك سخرية، الناس تجمعوا ليسألوا عن معنى اللوحة، ولا يوجد من قال شيئًا قريبًا حتى من المعنى الذي أريد إيصاله.

- هذا لأنكِ عبقرية، ودائمًا ما يواجه العبقري مشاكل مع من هم أقل منه فكرًا.

لكزته في كتفه بدلال، ثم أخذت يده وجرته وراءها ليقف بجانبها أمام اللوحة. قام بإلقاء التحية على صديقتها المقربة «شيري» التي قابلها

أكثر من مرة، ثم هز رأسه تحية للباقي. وجدهم يتناقشون في معنى اللوحة، قال أحد الشباب الواقفين:

- اللوحة ليست مثيرة للجدل إلى هذه الدرجة، إنها تُظهر أن المرأة لديها الكثير من الأشغال المنزلية التي تجعلها تعمل كما لو كانت جنديًا في حرب، أليس كذلك؟

أنهى جملته ونظر إلى شذى منتظرًا منها تأكيدًا على كلامه، أجابت في حرج:

- ليس تمامًا.

أجاب بلهجة تهكمية:

- إذا كانت شيئًا آخر فلماذا لا تخبريننا به؟

- لا أريد أن أخبركم بالمعنى الذي قصدته الآن، أريد أن أنتظر لأرى إن كان أحد المتفرجين يستطيع أن يفهم المعنى من دون مساعدتي.

بعد أن رمق أدهم المتحدث بنظرة نارية قال:

- المعنى واضح وبسيط ولكنكم لم تتوغلوا في الصورة بالحد الكافي، أحدكم قال إنها معاناة المرأة وآخر قال إنها معاناة الرجل، في الحقيقة أرى أنها تجسد معاناتهما معًا.. كيف أن كلّ يعاني في الدور الذي خُلِق له، ولكن للأسف الاثنان لا يقدران تعب الآخر، والذي يدفع الثمن دائمًا هم الأطفال.

صدرت آهة عن معظم الواقفين، وابتسمت شذى كما تبتسم العروس ليلة زفافها فرحًا بشريك حياتها.

عندما انتهى المعرض، أخبرت شذى صديقتها أن أدهم سوف يقلها في طريقه إلى منزلها، ركبت بجانبه والتصقت به، ففي السيارات الأمريكية لا يوجد ما يفصل السائق عمن يجلس بجانبه. التصقت به وقامت بتشبيك كفها الصغير بين أصابعه الطويلة. وضعت رأسها على كتفه، وبدأ صوت "جورج مايكل" يدوي في الكاسيت صانعًا خلفية لهذه اللوحة السيريالية التي على بساطتها لم تعد موجودة بكثرة. لم يتحدث أي منهما بكلمة واحدة طوال الطريق، فأحيانًا يصبح الصمت شاعرًا بليغًا من الدرجة الأولى. وعندما وصلا إلى منزلها سألها أدهم عن الشاب الذي تحدَّث إليها بطريقة غير محببة وأخبرها عن رأيه في اللوحة، بسخرية أجابته:

- هذا ميدو، طفل وحيد مدلل لأسرة ثرية، يظن أنه وُلِدَ بعصا سحرية تحقق له ما يريد، منذ فترة وهو يطلب مصادقتي ولكنني أكرهه، هو لا يحبني، هو لم يحب أي فتاة من قبل، يصادق من يريد لشهر أو اثنين ثم يشعر أنه حقق مراده، وكلما رفضته الفتاة كلما أصبحت رغبته فيها أكبر.

العقيد حاتم

عندما وصل حاتم إلى مكتبه في الثامنة صباحًا، وجد ملفًا ضخمًا في انتظاره.. بداخله جميع المعلومات عن الضابط المتوفي وليد سامي رضوان، قام بجمع المعلومات التي طلبها وحدد لهم أماكن وجودها فريق العمل الذي يعمل تحت إمرته، كان الفريق مكونًا من ثلاثة: أمين الشرطة فتحي واثنين من العساكر: سالم وإبراهيم.

كان فتحي شديد الطيبة، رغم منظره الغليظ كان يحمل قلبًا طيبًا وعقل بداخله مسحة من سذاجة أهل القرى، لديه الاستعداد للعمل طوال اليوم بلا دقيقة راحة واحدة، دائمًا لديه دَين أو جمعية تأكل أقساطها نصف راتبه.. وغالبًا ترجع سبب أزمته المالية التي يبدو أنها مستمرة طالما استمرت الشمس في السطوع إلى أنه لا يأخذ رشاوى كالكثير من زملائه، أو على الأقل لا يطلبها.. إذا حدث وعرض أحدهم لن يرده، ولكنه لا يؤخِّر أي أعمال خاصة بالناس حتى تصلهم رسالة "ادفع بالتي هي أحسن كيلا تدور على مصر بأكملها لتنهي ورقة واحدة"، في كثير من الأحيان يستدين من حاتم ليدفع أقساطه الشهرية، يدفع حاتم عن طيب خاطر من دون أن ينتظر رد أمواله إليه.. فهو يعلم مرتب فتحي جيدًا ويعلم أسعار البلد التي نحيا بها،

لذلك لم يحدث أن سأله أو حتى قام بحساب كم يدين له فتحي من النقود.

أما سالم وإبراهيم فشياطين تمشي على قدمين كما يدعوهما حاتم، كلاهما من نفس القرية مما عزز صداقتهما وجعلهما شريكين في كل شيء.. تقسم الرشاوى بينهما مناصفةً مهما كبر المبلغ أو صغر، دائمًا ما يجدهما حاتم يتهامسان في خبثٍ ظاهر فيعلم أنهما يحضّران لمصلحة جديدة، فينهرهما ويقسم بأغلظ الأيمان أنه إذا كان مخططهما له علاقة بالعمل سوف يجربان سرير التخشيبة لليالٍ طويلة، فورًا يدعيان على نفسيهما أن يصيبهما العمى إذا كان حديثهما له علاقة بالعمل.. وفي أغلب الوقت يكون ما يخططان له، له علاقة مباشرة بالعمل؛ كمصلحة استطاعا انتزاعها من أحد الجناة.

العقيد حاتم الطوبجي شخصية بها الكثير من التقليدية: أسمر البشرة مع صلع خفيف بدأ يغزو مقدمة رأسه، جسد رياضي ممشوق، تخرّج من كلية الشرطة بتقدير جيد جدًا. بعد ثلاثة أعوام من العمل رشحت له والدته إحدى معارفها للزواج، تقابلا أربع مرات في النادي وبرضا الطرفين تمت الخطوبة.. ثم الزواج بعد عام. في البداية (عندما نتحدث عن البداية نقصد بها العام الأول) حمد حاتم ربه على نعمة الزواج المبكر، كان ينهي عمله ثم يركض إلى المنزل ليقابل زوجته الشابة ويستنشق رائحتها العطرة، ولكن مع مرور الوقت وبداية حملها الأول.. بدأت في التحول إلى كائن لم يعد بإمكانه التعرف عليه، لولا

الصور القديمة لشك في أنها نفس المرأة التي تزوج منها. إذا تخيلنا أن هناك فراشة يمكن أن تعود لتصبح شرنقة ثم دودة مرة أخرى سنستطيع تخيُل التحول الذي طرأ على زوجته. الملابس الجميلة تم استبدالها بعباءة.. ليس من أجل التديُن ولكن لسهولة ارتدائها. الرائحة العطرة أصبحت رائحة طبيخ، لم يتخيل نفسه من قبل خائنًا ولكنه ضبط نفسه أكثر من مرة يستمتع بالحديث مع نساء أخريات ويطيل الوقوف معهن في بعض الأحيان، خصوصًا هذه الصحفية الشقراء التي تعامله بحفاوة شديدة أكثر من أي ضابط آخر.

قبل الشروع في قراءة الملف قام بشرب الشاي الثقيل الموضوع على مكتبه، ثم أمسك به وبدأ في تصفحه. أولًا عناوين الصحف، فالإعلام له دور كبير في التحكم بمستقبل بعض ضباط الشرطة خصوصًا عندما تتحول القضية إلى رأي عام، وقتها يمكن لجهاز الشرطة التضحية بأحد الضباط بسهولة كبيرة لإخماد ثورة الصحافة والإعلام. لم يكن هناك غير ثلاثة عناوين في صُحفٍ ليس لها شعبية كبيرة.. الصحيفة الأولى:

"مقتل ضابط شرطة في ملهى ليلي أثناء الاحتفال مع صديقته"

الثانية:

"العثور على جُثة ضابط شرطة أثناء الاحتفال مع عشيقته الروسية"

الثالثة:

"هل قامت الحسناء الروسية بقتل صديقها ضابط الشرطة؟"

كالعادة أضفت الصحف لمستها الخاصة لتجعل القصة أكثر حماسةً للقارئ، المهم في الأمر عدم وجود أي من هذه الأخبار في الصفحة الأولى.
القتيل هو «الرائد وليد سامي رضوان»، في الرابعة والثلاثين من عمره، مطلّق ولديه ولد وحيد يعيش مع طليقته. حاول التقرير بكل الطرق الممكنة كتابة وإيصال المعلومة القادمة بألطف طريقة.. كانت سُمعة المتوفى أسوأ من سمعة راقصات شارع الهرم، تورط في العديد من القضايا المتعلقة بالفساد المالي والتربُّح من العمل، وتم رفع بعض القضايا من قِبَل مواطنين اتهموه بابتزازهم، ولكنه بُرِئ تمامًا من جميع ما نُسِبَ إليه، ولكن تبرئة المحكمة شيء وتبرئة السمعة شيء آخر. حالته المادية كانت فوق الممتازة، من موقع شقته ونوع سيارته نستطيع القول إنه مرتاح ماديًا، مع العِلم بأنه ولد لأسرة مكافحة.
تم الإلحاق بالملف قائمة بأسماء الأشخاص الذين من الممكن أن يكونوا وراء قتله، يرجع الفضل في طول القائمة إلى سُمعة القتيل، ها هو تاجر فاكهة قام برفع قضية اتهمه فيها بفرض إتاوة عليه، امرأة قامت بعمل محضر تتهمه فيه بأنه طلب منها قضاء الليلة برفقته في مقابل الإفراج عن أخيها العائل الوحيد للأسرة، وآخرون مثل هؤلاء قد يودون قتله. هذا غير رواد النادي الليلي ليلة مقتله الذين لن يستطيع الوصول إليهم للتحقيق معهم، عندما طلب قائمة بأسمائهم من المالِك.. نظر إليه مستغربًا وسأله:
- هل حضرت حفل لرأس السنة من قبل؟

بحسبة صغيرة إذا أضفت سُمعة القتيل لما تمت كتابته فوق الجثة:

«مِنِ اغْتِصَابِ الْمَسَاكِينِ، مِنْ صَرْخَةِ الْبَائِسِينَ، الآنَ أَقُومُ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَجْعَلُ فِي وَسْعٍ الَّذِي يُنْفَثُ فِيهِ.»

فلا تحتاج لأن تكون ضابط مخابرات لتعلم أنه قتل لأجل الانتقام، سيأخذ أقوال جميع مَن في قائمة المشتبه بهم ويأخذ بصماتهم، ثم يطابق البصمات مع تقرير الطب الشرعي، في حالة وجود أي تطابق ستصبح لديه قضية.. الأمر الذي نادرًا ما يحدث، ثم يضع الملف في الأرشيف وتقيد الحالة ضد مجهول كالكثير من الحالات التي يشرف عليها.

أحيانًا يشعر من كثرة عدم عثورهم على الجاني لعدم توفُّر الأدلة أن مرتباتهم إهدارٌ للمال العام، أغلق التقرير وفتح جهاز الكمبيوتر للبحث عن معنى الجملة المكتوبة فوق الجثة، وجد أنها إحدى آيات الكتاب المقدس في العهد القديم، وتفسير "من اغتصاب المساكين من صرخة البائسين" هو سماع صراخ الأبرار في ظلمهم وألمهم، "الآن أقوم يقول الرب" هو تدخل الله في الوقت الذي يراه صالحًا، "أجعل في وسع الذي ينفث فيه" هو صنع الخلاص علانية، جلس يتأمل الآية، واضح أن الجاني أراد أن يضفي جوًا أو لمسة أنه ينفِّذ أوامر الله بسبب ما اقترفه الضابط، إما أن يكون الضابط قد ظلمه من قبل أو يكون معتوهًا شاهد فيلم Seven وأراد لعب دور القاتل المجنون، بضع دقائق ثم أغلق الملف، وبدأ في البحث في قضية أخرى.

أدهم

الصوت الحزين الذي يبعث على الاكتئاب، يدوي من كل مكان حولك وكأنه ينبعث من مركز الأرض.. يغني

"Oh Baby Baby it's a wild world.. Oh Baby Baby it's a wild world"

ثم يستيقظ أدهم وهو يلهث، هذه الأغنية التي تلازمه لسنوات ولا يبدو أنها ستختفي من كوابيسه وأحلام يقظته، بعض الذكريات تبلغ درجة من السوء تجعلها جزءًا لا يتجزأ من عقولنا وكأننا وُلِدنا بها.

يغادر سريره، يخلع ملابسه ويذهب ليستحم، يترك الماء الساخن ينساب على جسده، ينظر إلى الندوب التي تغطي ذراعه الأيسر وجزعه الأيمن، يمسك بعض هذه الندوب بقبضته ويعتصرها حتى يشعر بالألم لا يطاق.. ثم يتركها وهو يلهث، الندوب هي الدليل الحي على أن الماضي على قسوته كان حقيقيًا.

يرتدي ملابسه، يحضِّر كوبًا من القهوة الأمريكية التي يدمنها، يأخذ رواية "ما بعد الظلام" لأحد كتَّابه المفضلين "هاروكي موراكامي"، يذهب إلى الشُرفة ويبدأ القراءة. تتحدث الرواية عن مجموعة من

الأشخاص الذين يمضون إحدى الليالي في السهر.. بعضهم لا يريد النوم برغبته وآخرون بحُكم عملهم أو ظروفهم، الرابط بينهم هو بعض المصادفات التي جمعتهم.. والتضاد الشديد.. والشعور بالوحدة التي لا تفسير لها، لهذا يعشق أدهم هذا الكاتب، كأنه يضع يديه على نقاط ضعف الإنسان التي لن يطلعوك عليها في المدرسة. عندما بدأ التفكير في الشعور بالوحدة.. أصبح غير قادر على التركيز في الرواية وتركها من يده مؤقتًا، ذهب ذهنه تلقائيًا إلى من أحدثت شروخًا محببة إلى نفسه في جدار وحدته التي ظن أنها باقية بقاء الأيام. هل لدموعها التي رآها أكثر من مرة تأثير عليه؟ المرة الأولى التي قرر تركها وأطلعها على قراره.. دفنت وجهها بين كفيها واستمع إلى نشيجها الذي كان كالسكين السامة عندما تطعن في القلب مباشرةً، قام بوضع ذراعيه حول كتفيها كمحاولة يائسة في تهدئتها ولكن صوت بكائها ازداد ارتفاعًا، حاول الكلام ولكنه تلعثم، وقتها أزالت يديها ونظرت إليه بعينين باكيتين.. وقالت:

- سأقتل نفسي وستصبح أنت السبب، هل ضايقتك في شيء؟

هذه الطيبة المنقرضة هي ما جعلته لا يقوى على تركها، وعدها يومها أن يظل بجانبها إلى آخر يوم في عمره. المرة الثانية التي رآها وهي تبكي كانت عندما رأت والدها صدفةً في الشارع، ذهبت وفي ذهنها أن ترتمي بين ذراعيه ولكنه نهرها ولعن يومه السيء الذي يجعله يقع في هذه الصدف. هاتفت أدهم بعدها ولم يفهم شيئًا بسبب بكائها.. فأخذ

سيارته والتقى بها. أخبرها أنه بمثابة حبيبها ووالدها وأخيها إن أرادت في يوم ما أن يكون لها أخ. سندها في هذه الحياة المائلة. ابتسمت وأشرق وجهها وتبدل من الحزن إلى السعادة في وقت قياسي. قالت له:

- هل تعلم لماذا أنت؟ لأنك لا تهتم بالناس. أنت الوحيد الذي أشعر أني على سجيتي معه. أنت الوحيد الذي لا تسخر من دموعي وتتهمني بالتمثيل. رغم كل الأسرار التي تخفيها والتي سأعلمها يومًا ما.. أريد أن أبقى بجانبك ولا أغادر غير إلى القبر.

أنهى قهوته. واتجه إلى الميعاد الأسبوعي الذي يواظب عليه منذ أشهر. إنها السيدة التي تقطن في أحد الأحياء الفقيرة. لا تملك شيئًا غير هذه الشقة شديدة الصِغَر. ومرتبًا هزيلًا من إحدى الجمعيات الخيرية.. بأعجوبة وبالكثير من المعجزات التي تحدث باستمرار يكفيها طوال الشهر. مرتبها هذا لا يتعدى المبلغ الذي يدفعه الشباب وقت الجلوس في أحد الكافيهات ليلة خميس ما.

دق الجرس. فتحت له الباب السيدة المسنة التي حفرت الأيام على وجهها الكثير من التجاعيد. رغم نظرة الحزن الواضحة في عينيها. استقبلته بابتسامة كبيرة ودعته إلى الدخول. طبع قُبلة على مقدمة رأسها. وعلى مائدة الطعام فتح الكيس الذي بحوزته وبدأوا في الأكل معًا. قالت له بصوتها الذي يشوبه لكنة أهل القرى:

- إلى متى ستظَل أعزبًا يا ولدي. إذا لم تبدأ بالبحث عن نصفك الآخر سأتقمص دور الخاطبة وأبحث لك عنها.

بلهجة مازحة أجابها:

- أنتِ نصفي الآخر يا أمي الحبيبة.

تضحك بصفاء وتخبره أن جميع شباب هذه الأيام نصّابين وبائعين كلام ولهذا الكثير من الفتيات يقعن في غرام الشخص الخاطىء. سألها عن أحوالها وإذا ما كانت في حاجة لأي شيء، فأخبرته أن الله لا يتركها وحيدة ويبعث إليها بأولاد الحلال من وقت لآخر. أنهيا الطعام فأزال الأوراق والأطباق البلاستيكية الفارغة، ثم دخل إلى المطبخ وجاء بسطلٍ به ماء وممسحة ومناشف قديمة، ولمدة ساعة ظل ينظف الشقة من أول الصالون إلى الحمّام والمطبخ وغرفة النوم، وفي النهاية ذهب إلى السيدة وقبل يدها ثم انصرف وهي تدعو له.

يذهب إلى منزله، يغيّر ملابسه ويعدّل من هندامه ليذهب ويقابل شذى في مقهاهما المفضل.

دخل إلى المقهى، وجدها جالسة على طاولة في الركن ملاصقة للنافذة التي تطل على الشارع الهادىء. كانت ترتدي فستانًا أحمر اللون يصل إلى ركبتها، ومن تحته شراب "Stocking" أسود شديد الشفافية، وحذاء باليرينا أحمر نفس لون الفستان، شعرها منسدل على كتفيها وشفتاها اصطبغتا بلون تبيتي، كيف يمكن لجمال نساء الكون أن يُختزَل في فتاة واحدة؟ ذهب إليها، حيّته بإبتسامة مشرقة فأمسك كفها وقبّله، سألته لماذا؟

- شكرًا لأنك خُلِقتِ.

- أيها المخادع تريد أن تستغفلني بهذا الكلام المعسول حتى لا أسألك لماذا تأخرت عن موعدنا نصف ساعة كاملة.

- اليوم هو الأحد موعدي الأسبوعي مع ماري.

- حقًا لا أفهمك.. تذهب إلى سيدة عجوز ليست والدتك ولا قريبتك لتأكل معها وتنظف بيتها كأنك خادمة، متى ستثق بي وتطلعني على الكم الهائل من الأسرار الذي يحيط كل شيء في حياتك.

يبتسم ويخبرها أنه يحبها كثيرًا لهذا لن يطلعها على شيء الآن، تبدأ بالتبرم ولكنه يواصل الابتسام مع إبقاء عينيه موجّهة إلى عينيها في حب.. وقتها تتخلى عن تبرمها وتضحك في خجل. بعدما احمرت وجنتاها قالت:

- عيد ميلادي الخميس القادم، بدأت مع شيري في التجهيز للإحتفال، سيكون أهم عيد ميلاد في حياتي لوجودك بجانبي، لم يحدث أن كنت واثقة من شيء في حياتي كما أنا واثقة فيك.

- الخميس القادم ١٠ يناير؟

- نعم.

أضافت بلهجة مازحة:

- يومي المفضل في السنة كما يبدو.

عقد حاجبيه قليلًا.. ثم قال:

- لن أستطيع الحضور الخميس القادم، قومي بتأجيله للجمعة أو السبت.

- هذا مستحيل، لم يسبق لي أن احتفلت بعيد ميلادي في يوم آخر غير ١٠ يناير، لن أغيره وستأتي رغمًا عنك.

- صدقيني هذا اليوم خصيصًا ليس ملكي.

بصوت متهدج قالت:

- هل هناك ما هو أهم مني؟

صوتها الرقيق ولهجة الرجاء التي تتخلله قادران على تغيير نواميس الكون ومخططاته، زفر وهو ينظر إليها بعتاب، ثم قال:

- حسنًا ولكن بشرط.

بلهجة سعيدة أجابت:

- حبيبي أنت تقول وأنا أنفِذ كجارية تطلب رضاء مالكها.

- واضح أنني لست المخادع الوحيد هنا، لا يهم، شرطي الوحيد هو أنني سأختار المكان.

- حسنًا لا يوجد مشكلة، ولكن أخبرني اليوم حتى أبدأ بالحجز والتجهيز.

- سأخبرك مساءً.

أمضيا بقية اليوم في الحديث عن أحوالها مع والدتها وأختها الصغرى. واللوحة الجديدة التي ترسمها، تريد أن تبدأ في رسم اللوحات اللاتي لديها مدلول سياسي فهي التي تأخذ كل الشهرة هذه الأيام، ولكنه نصحها ألا تحيد عن اللوحات الإنسانية.. فالأعمال التي تتعلق

بالسياسة زائلة مع زوال المواقف وأنظمة الحُكم، ولكن الأعمال الانسانية باقية إلى أبد الدهر.

بعد ساعتين من الحديث انصرفا وقام بتوصيلها إلى منزلها.

عاد إلى منزله، من دون أن يغيّر ملابسه وضع الماء ليغلي، أنهى عمل كوب القهوة الأمريكية، تناول إحدى الملفات من على مكتبه.. وذهب ليجلس في شُرفة منزله بالدور الأرضي، ظلّ يقرأ لنصف ساعة، كتب خلالها الكثير من الملحوظات وأنهى خلالها قهوته، عندما انتهى أمسك الهاتف وبعثَ رسالة إلى شذى يخبرها بالمكان الذي ستحتفل فيه بعيد ميلادها، وفي نهاية الرسالة كتب "اشتقت لكِ حد السماء".

أعاد الملف إلى مكانه فوق المكتب، قام بعمل كوب آخر من القهوة، وأمسك رواية "هاروكي موراكامي" التي لم ينهِها بَعد، بدأ في القراءة وترك هذا الكاتب الساحر يحدثه عن الوحدة والتضاد.. موضوعاه المفضلين.

شيري

كانت الفتاة السيئة كما يصورونهن في الأفلام، ليس لديها صديقة مقربة ولكنها صديقة جميع الشباب.. الجميع إخوتها كما كانت تقول، دخلت في علاقات تعتبر شديدة الكثرة على سنها الصغير الذي لم يتعدَ الثالثة والعشرين، لا يمكن أن تُوصَف بالجميلة من قريب أو من بعيد ولكنها تعتمد على ملابسها شديدة التحرر.. ففي بلد الكبت الجنسي يصبح هذا النوع من الفتيات هو المطلوب حتى وإن خلا من معطيات الجمال.

لسبب لا يعلمه أحد أصبحت صديقة شذى المفضلة وكاتمة أسرارها، أختها التي تمتلك أبا وأما مختلفين، لا نعلم السبب ولكن بإمكاننا التخمين، أحدهم اقترح أن السبب هو نقاء شذى الشديد الذي جعلها الفتاة الوحيدة التي لا تلقي الأحكام على شيري بسبب علاقاتها مع الأولاد، أو نشأتهما في نفس بيئة الأب والأم المطلقين، أو لجمال روح شذى الذي جعلها تدرك أن تصرفات شيري ما هي إلا غطاء لطيبة شديدة لا تريد إظهارها خوفًا من أن تبدو ضعيفة أمام الناس.. لكيلا تصير كوالدتها في يومٍ ما.

تعددت التخمينات، ولكن الحقيقة الوحيدة هي صداقتهما القوية، فشيري هي الوحيدة التي تعلم كواليس طلاق والد شذى ووالدتها. والدتها من عائلة مرتاحة ماديًا، ووالدها تاجر فاكهة بدأ صغيرًا، ساعده أهل زوجته في كل شيء أثناء الزواج، وحتى بعد الزواج أقرضوه مبلغًا من المال حتى يتوسع في تجارته. بعد الزواج بعام واحد اكتشفت العروس الشابة أسوأ عادة لدى زوجها.. وهي شُرب الخمر، لم تمانع في البداية، ولكن بعد فترة تحولت العادة إلى إدمان شديد جعله لا يرى أمامه أحيانًا، فكان يعود إلى المنزل متأخرًا، وعندما تحاول معاتبته ينفجر في وجهها. أصبح إدمانه وعصبيته تصاعديًا.. إلى أن عاد في أحد الأيام ووجد ابنتيه شذى ذات السبعة أعوام وأختها الصغرى تبكيان داخل غرفتهما، لسببٍ ما لم يتحمل الصوت، دخل عليهما الغرفة وأوسعهما ضربًا، نُقِلتا إلى المستشفى لمدة أسبوع وظلتا طريحتا الفراش لستة أشهر بسبب الكسور التي ملأت جسديهما الرقيق.

بعدها أصرت والدتهما على الطلاق ووقفت وراءها عائلتها، حدث الطلاق، وابتعد الأب تمامًا عن العائلة، ورفض أن يكون له أي علاقة بابنتيه، غالبًا أراد أن يبدأ حياة جديدة بعيدًا عمن يذكروه بماضيه ومساعدتهم له. ولكن الوحيدة التي دفعت الثمن كانت شذى، فأختها الصغرى لا تتذكر شيئًا عن والدها، ولكن شذى كانت تعشقه، الحب الأول لأي فتاة هو والدها، سامحته بطيب خاطر عن جعْلها جليسة

الفراش لأشهر، وانتظرت أن يعود إلى المنزل ولكنه لم يظهر، سألت والدتها فأخبرتها أنه هجرهن ولن يعود، ظنت وقتها أنها السبب، لو لم تبكِ مع أختها لما حدث ما حدث، ولما تركهن. عاشت بالذنب إلى أن بلغت سن الرشد وعلمت أيَ شخص كان والدها، ولكن حتى بعدها تمنت لو أن ترجع العلاقة معه.

تسألها شيري في كل مرة تتحدث عن والدها:

- لماذا لا تمحي هذا القميء الذي يبعث على الغثيان من ذاكرتك؟

- لأنه والدي.

- والدك البيولوجي، معنى هذا أن الشريك الوحيد بينكما هو سائله المنوي.

تبتسم دون أن تجيب وتغيِّر الموضوع، لديها من الطيبة والقدرة على المغفرة ما يكفي عالمًا بأكمله، وللأسف يتم استغلال هذا النوع من الأشخاص بدلًا من تقدير هذه الروح التي تنافس الألماس في نقائها.

الوحيد الذي اقتحم حياة شذى بقوة وأثبت أنه جدير بها إلى الآن هو أدهم، على كثرة الشباب الذين تعرفهم شيري.. لا تستطيع تفسير شخصية هذا الشاب، أقل ما يمكن أن تصف به عالمه أنه عجيب، منطوي تمامًا في وجود أي شخص ما عدا شذى. عند الحديث مع أي أحد يرد بأقل كلمات ممكنة إلا شذى يسترسل معها في الحديث، يعيش كأنه لا يرى أحدًا حوله غيرها، الوحيد الذي يفهم لوحاتها

الغريبة التي تُستعصَى على الجميع، لم تحدد بعد مدى مصداقيته تجاهها ولكنها لم ترَ شذى سعيدة هكذا من قبل.

قطع أفكارها رنين هاتفها المحمول، نظرت إلى الشاشة، كان ميدو.. الشاب الذي يحاول مصادقة شذى ولكنها لا تبالي به، ضغطت زر الإجابة.

- ألو.

- يا أقرب أصدقائي اشتقت إليكِ.

- كفاك عبثًا وأخبرني ماذا تريد.

- أردت سماع صوتك وسؤالك عن شيء.

سكتت بانتظار أن يبدأ.

- ما المميز في المدعو أدهم حتى تصادقه شذى؟

- لا أعلم تمامًا ولكنها تحبه، ولا تتدخل بينهما لم أرَها سعيدة هكذا من قبل.

- أنا أخشى عليها من هذا الشاب، يعيش في المعادي وليس لديه أصدقاء أو معارف، دائمًا ما يعرف سكان المعادي بعضهم.. قمت بسؤال جميع معارفي عنه ولا يوجد من يعرفه، إنه رجل بلا ماضٍ وكأنه وُلِد من العدم، أنا موقن أن وراءه كارثة يخفيها.

- أقترح عليك أن تقلل الفرجة على MBC 2 وتبدأ في مذاكرة دروسك حتى تنهي جامعتك التي يبدو أنك ستشيخ بداخلها.

- أنا لا أمزح، هذا الشاب يخفي شيئًا وسوف أعلمه، أطلب منك الآن أن تحاولي إبعاد شذى عنه حتى لا تندمين في المستقبل عندما يصيبها مكروه.

- المكروه الوحيد الذي يمكن أن يصيبها هو أن تنساق وراء علاقة معك، ابتعد عنها، إنها ليست كالفتيات اللواتي تستخدمهن كمناديل ورقية.

- أنا أحبها وأريد الزواج منها، أعلم أنك لن تصدقيني عندما أقول إنني أريد الزواج والاستقرار، كل ما أطلبه هو أن تُبقِي عينيك مفتوحتين حتى لا يؤذيها المدعو أدهم، سيحدث عاجلًا أم آجلًا حدسي لا يخطىء.

- استخدم حدسك في توقُّع أسئلة الامتحان وابتعد عن بنات الناس.

أغلقت معه وبدأت تفكر، حقًا وضع أدهم غريب، هل يوجد في مصر من ليس لديه أية معارف؟ غالبًا هو من إحدى قرى الريف ويخجل من عائلته، أراحها هذا التفسير.. وعادت إلى تقليم أظافر قدميها.

شذى

صباح الخميس، يوم عيد ميلادها الذي أمضت الأيام الماضية في التخطيط له، تستيقظ على قُبلات والدتها وتهنئتها، وكالعادة تتبع التهنئة بالجُمل الأزلية التي لا تصلح أن تكون أمًا بدون ترديدها.. "صرتِ عروسة"، "أود رؤية أولادكِ"، "ابن الحلال المنتظَر". بعدما انصرفت والدتها ذهبت لتحضير قهوتها، في الصالون وجدت علبة كبيرة ملفوفة بورق هدايا وتم تزيينها بالكثير من الشرائط الحمراء الشفافة، ذهبت وقرأت البطاقة المرسلة باسمها. سألت والدتها عن الراسل فأجابت بابتسامة ذات مغزى:

- تركها أحد الشباب صباحًا عند رجل الأمن وأخبره أنها هدية عيد ميلادكِ، أردت أن أفاتحك بالموضوع ولكن قررت الانتظار حتى تحكي لي من تلقاء نفسك.

لم ترد على والدتها وفي لهفة بدأت في فتح الهدية، كانت عبارة عن سلة كبيرة بها الكثير من الورود والحلويات والشرائط الملونة، وفي المنتصف يوجد علبة صغيرة يبدو عليها الفخامة، قامت بفتحها فوجدت إسورة ذهبية وبطاقة، قرأت البطاقة فتغيرت تعابير وجهها إلى الاشمئزاز، سألت والدتها ما الأمر.

- لا شيء يا أمي الحبيبة، ليس المُرسِل من توقعته وإنما شخص أكرهه.

- أخبرني رجل الأمن أنه شخص شديد التهذيب وقد رأيته يغادر في سيارة شديدة الأناقة من الشرفة.

- إنه ميدو، يعتبر نفسه أحد أصدقائي لوجود أصدقاء مشتركين بيننا، وواضح أنه يطمح في أكثر من صداقة.

- وما المشكلة يا حبيبتي؟ لقد أصبحتِ عروسة.

- أعلم يا أمي أخبرتني هذا منذ عشر دقائق، هذا غير حديثنا البارحة وفي اليوم الذي يسبقه.

- أود الاطمئنان على مستقبلك ورؤية أطفالك و...

قاطعتها شذى بلهجة راجية:

- أرجوكِ يا أمي، أستطيع الاهتمام بمستقبلي لا تقلقي، وليس معنى أنك تريدينني أن أتزوج أن أقبل بأي من يطرق الباب، راسل هذه الهدية هو ميدو، مثال تجسَّد فيه كل ما أكره في الرجال في رجل واحد.

قامت وقبّلت أمها على وجنتها وأخبرتها بألا تقلق، ثم ذهبت لتحضير كوب القهوة، أخذته وذهبت للجلوس في السرير، أخذت رشفة كبيرة لعل مرارة القهوة تنسيها مرارة التفكير في هذا المدعو ميدو، من يظن نفسه؟ هل تفكيره القاصر جعله يعتقد أنها من نوع الفتيات اللواتي يبهرهن بريق الهدايا والمال؟ أولًا هو لا يفهم شيئًا في الفن، وقال أكثر من مرة أمامها إن الفن ما هو إلا وسيلة اخترعها الفقراء الذين لا

يستطيعون جمع المال الكافي لحياة سعيدة حتى يشعروا بأهميتهم، ثانيًا استغلال حماقة الفتيات ومصادقة واحدة جديدة كل بضعة أشهر ثم تركها باكية، ثالثًا أناقته المبالغ فيها وكأنه مراهقة تهتم بملابسها، ذقنه دائمًا حليقة، ساعة وسلسلة ذهبيتان، شعره مصفف بعناية مع وضع الكثير من الجيل حتى تظن أنه قد وُلِدَ بهذه التصفيفة، بدانة خفيفة لا شك أنها ستزيد مع الوقت، معاملة الجميع بسخرية وكأنه أعلى منهم.

على عكس فارس أحلامها ومعشوقها الأوحد أدهم، فعلى الرغم من عدم حبه الشديد للرسم إلا أنه يهتم بمعرفة أخبارها ومشاهدة جميع رسوماتها والتعليق على الإيجابيات والسلبيات، والبحث عن كل جديد في هذا الوسط حتى يساعدها في الوصول لأكبر عدد من المتابعين لأعمالها، لا يهتم كثيرًا بملابسه ولكن يبدو دائمًا جذابًا بقمصانه الغريبة على جسده النحيف الممشوق، شعره ناعم ولكنه يتركه هائشًا من دون تصفيف فيصير أكثر جاذبية. يوجد خيط رفيع بين عدم كبت وتكبيل الفتاة وبين الاهتمام بها، ويبدو أن أدهم هو من وضع هذا الخط لأنه ينفِّذه بعبقرية وحرفية منقطعة النظير، فعندما تكون لديها مشاكل مع والدتها لا يتركها ويبدأ في طرح الحلول حتى تحل المشكلة، وعندما يكون لديها عمل أو مشغولة بشيء ما يختفي من حياتها ويتابعها برسائل تشجيع ليس إلا، لم يسبق له أن سألها على أصدقائها الأولاد، ولكن عندما يشعر أن أحدهم ليس على مايرام لا

يتركها إلا وقد جعلها تقتنع بوجهة نظره في الابتعاد عن هذا الشخص من دون إجبارها على شيء.. كما حدث مع ميدو، كلمات المديح لجمالها وملابسها لا تغادر جلستهما وكأنه يستمتع بإلقائها ولا يمل منها، كما قال لها مسبقًا.. هو مزيج من أخ وصديق وأب وعشيق من الدرجة الأولى، لهذا الانغراس والضياع في غابات حبه لم يكن من فراغ.

باختصار.. كان شابًا لم يتلوث بعادات الشباب بعد، فأصبح يحب بالفطرة السليمة وليس كما أخبره أصدقاؤه ومن سبقوه في تجارب علاقات فشل معظمها.

أمسكت الهاتف وقامت بمهاتفة شيري، تحدثتا عن مكان عيد الميلاد الجديد الذي اختاره أدهم، وتأكدتا من تجهيز جميع الأغاني التي ستذاع من أول الحفل إلى آخره، ثم أخبرت كلٌّ منهما الأخرى عما سترتديه الليلة، في النهاية قالت لها شيرى:

- بالمناسبة سيأتي ميدو الليلة.

- أنا لم أقم بدعوته.

- أعلم، ولكنه يعتبر نفسه فوق الدعوات ويأتي كصاحب مكان دائمًا.

- أتعلمين، من الجيد أن يأتي لأنه أرسل لي هدية هذا الصباح على عنوان منزلي، سأردها إليه الليلة.

- ممم، لدي فكرة، لا تردي إليه الهدية، سيأخذها ويهبها لأخرى في وقتٍ لاحق عندما يعلم ألا فائدة منك، ولن يشعر بالإهانة فمن مثله ليس

لديه دم، قومي ببيعها وتبرَّعي بالمبلغ لجمعية خيرية، وأعطِه وصل الجمعية الخيرية الليلة. سيتعكر مزاجه هذا أمر مضمون.

ضحكت شذى كثيرًا من تفكير صديقتها وتحمست كثيرًا للفكرة، بعدما أغلقت الهاتف ارتدت ملابسها وذهبت لتنفيذ وصية شيري، باعت الإسورة وتبرَّعَت بالمبلغ لإحدى الجمعيات الخيرية، وعادت إلى المنزل فرحة بالوصل كأنها طفلة حصلت على قطعة حلوى من وراء والدتها.

أمضت اليوم في الرسم وارتشاف أكواب القهوة وتناول غداء خفيف، ارتدت ملابسها في السابعة وغادرت المنزل متجهة إلى الكافيه الذي سيحيي حفلة عيد ميلادها.

وجدت صديقتها شيري بانتظارها، بعد القُبلات بدأت كلتاهما في مديح ملابس وزينة الأخرى، ثم أخذتا جولة في المكان لتتفقداه، راجعتا كل شيء مع الجارسون المسئول عن طاولاتهما.. من أغاني وأكل وميعاد تقديم الكعكة، ثم جلستا في انتظار المدعوين وأضاعتا الوقت في النميمة عن جميع صديقاتهما الفتيات وحياة كل منهن الخاصة.

أدهم

عندما استيقظ، وجد أن الساعة لم تتعدَ السابعة صباحًا، لم يستطع النوم أكثر من أربع ساعات استيقظ خلالهم ثلاث مرات. التوتر والقلق ياكلانه من دون أي رحمة. ندم على قبوله الذهاب لعيد ميلاد شذى كما لم يندم على شيء من قبل، ولبضع ثوانٍ بدأ الشك يتسرب إليه في مقدرته على تنفيذ المهمة.. ولكن سرعان ما بدأت الأغنية الأبدية في الصراخ داخل رأسه

" Oh Baby Baby It's a wild world.. Oh Baby Baby It's a wild world "

نفض هذه الفكرة عن ذهنه. قام وغير ملابسه وارتدى زِي الرياضة، خرج ليقوم ببعض الركض في شوارع حيه الهادىء حتى يخفف من توتره.

قام بالركض لمدة عشرين دقيقة ثم عاد إلى المنزل، استحم وغيَّر ملابسه، قام بعمل مؤنسته الوحيدة في هذا البيت الفارغ.. كوب القهوة الأمريكية، ثم جمع جميع الأوراق الموجودة على مكتبه بعشوائية، وخرج بهم إلى جلسته في الشرفة.

ظلّ ممسكًا بالكوب الساخن وهو ينظر إلى الأشجار محاولًا إخلاء ذهنه تمامًا. عندما شعر أنه جاهز ترك الكوب من يده، وأمسك الأوراق يطالعها.

الاسم «محمد السيد جمال الدين»، هذا من سيلتقيه أدهم الليلة، محامي معروف إلى حد ما في أوساط مهنته، حقق بعض النجاحات المعروفة التي كفلت له دخلًا محترمًا وزبائن دائمين، قصير القامة شديد النحافة، متزوج منذ عشرة أعوام ولديه ثلاثة أطفال، ولدان وبنت، معظم الصور التي جمعها أدهم لهذا المحامي كانت مع ابنته، فهي حُب حياته كما استنتج، وهذا ما يؤرِّق أدهم ويجعله مترددًا.. ولكن سيفعل ما عليه فعله ما باليد حيلة.

دقق النظر في جميع صور المحامي حتى يحفر شكله في ذاكرته، وبقدر الإمكان حاول ألا ينظر إلى الصور التي تحتوى على أفراد عائلته، يبدون في غاية اللطف معًا، الأم ترتدي حجابًا محافظًا، الولدان يقومان بقلب وجوههما وإخراج ألسنتهما أمام الكاميرا، الابنة التي لا تتعدى الرابعة تضع ذراعها الصغير حول رقبة والدها وتضحك في صفاء لا يوجد إلا عند الأطفال، هذه النوعية من الصور تؤثر على نفسية أدهم ولكنه يغمض عينيه في محاولة للنسيان.

بعد أن انتهى من الصور وضعها جانبًا، رشف ما تبقى من القهوة وأمسك الخارطة التي رسمها مسبقًا للمكان، وضع بعض التعديلات وتأكد أنه حفظ كل شيء عن ظهر قلب. ذهب وحاول النوم هروبًا من

ذاكرته التي تخونه وتجعل صورة عائلة المحامي تظهر أمامه ولكنه لم يستطع، جاء برواية وظل يقرأ لبضع ساعات إلى أن غافاه النوم.

استيقظ في السابعة مساءً، ظل يحدق في سقف الغرفة قليلًا وراجع في ذهنه كل شيء، وعندما اقتربت الساعة من السابعة والنصف ذهب وارتدى ملابسه، وضع الكثير من العطر وتأكد من هندامه أمام المرآة، غادر المنزل وركب السيارة متجهًا إلى عيد ميلاد الجميلة شذى كما يحب أن يدعوها. في الطريق احتار في اختيار أغنية، وضع يده في درج الشرائط واختار أول ما طالته يداه ووضعه في الكاسيت، دوى الصوت الكوراليّ لفرقة Queen:

"هل هذا هو واقع الحياة؟ أم هو خيال؟

تم احتجازي في انهيار أرضي.. ولا هروب من الواقع"

شذى

بدأ المدعوون في الوصول واحدًا تلو الآخر، استقبلتهم شذى بطريقة آلية وابتسامة مصطنعة. ظلت تنظر إلى الباب كل بضع دقائق في انتظار من قلب عالمها رأسًا على عقب، من علمها كيف يمكن لقلبها الذي يقبع بداخل صدرها أن يكون مِلكًا لشخص آخر. عندما رأته آتيًا نهضت في سرعة ولهفة لاستقباله. من أجمل مميزات أدهم أنه لا يتقيَّد بألاعيب الشباب، مهما أظهرت حبها له ولهفتها عليه لا تتغير معاملته لها بل تزيد حبًا وحنوًا، كادت أن تلقي أحد أبيات الشعر لتحيته كما اعتادت ولكنها ذُهِلَت مما رأت. تغيَّر منظر أدهم كما تتغير الفتاة يوم عرسها، كان يرتدي بدلة سوداء ذات لمعة تعطيها جاذبية خاصة، شعره الهائش تم تسريحه للخلف، ذقنه تم تشذيبها، قميصه شديد البياض وربطة عنقه تضفي وسامة لوسامته الطبيعية.

ضحك عندما لاحظ حيرتها التي لا تخفى على أحد:

- ما الأمر، وكأنك تنظرين لشخص آخر.

- أنت بالفعل شخص آخر، ما هذا الذي ترتديه؟ إنه عيد ميلاد وليس فرحًا.

- شعرت برغبة في التأنق من أجل يومكِ المميز. يمكنني أن أعود وأبدِل ملابسي إذا أحببتِ.

ابتسمت وتخلت عن ذهولها. أمسكت يده وأخذته إلى طاولتهما. ألقى التحية على الجميع، ولم يلتفت إلى نظراتهم المستغربة من ملابسه الرسمية. لاحقًا ستبدأ إحدى الفتيات في إلقاء إشاعة ستظل تطارد شذى لبعض الوقت بأن أدهم يرتدي بدلة لأنه سيذهب ويطلب يدها الليلة. ولكن هذا ليس موضوعنا الآن. حتى ميدو الذي اعتاد أن يعلِق على ملابس أدهم تعليقات يشعر أنها فكاهية لم يجد ما يتفوه به.

جلست بجانبه وقالت له اشتقت إليك. ووضعت يدها ذات الأظافر المقلمة الطويلة نسبيًا على يده، وعلى عكس المتوقع نظر إليها نظرة لم ترَها من قبل، قبل أن تسأله ما به قال:

- لماذا أنتِ نصف عارية؟

كانت ترتدي فستانًا يتراوح لونه بين الرمادي والفضي، قصيرًا لا يتعدى منتصف فخذيها، وعندما تجلس كما هي الآن يتراجع طوله إلى بداية فخذها، ساقاها عاريتان ينتهيان عند حذاء ذي كعبٍ عالٍ يزيد من جاذبيتهما، تلعثمت ولم تدرِ ما تخبره، ولأول مرة شعرت أنها عارية.. وحاولت أن تشد أطراف الفستان لتغطية مساحة أكبر من فخذها ولكنه كان قصيرًا فعلًا، قالت في خجل:

- شيري أخبرتني أنه سيعجبك، ليس هذا هو ذوقي في الملابس ولكن.. في عيد ميلادي.. أردت أن أفاجئك، ولكن لا تقلق سأهبه غدًا إلى متجر للأيتام ولن أرتدي شيئًا كهذا مرة أخرى.

- أشك أن يحتاج متجر للأيتام إلى شيء كهذا.. ولكن ما علينا. لا أريد أن أجبركِ على شيء، ولكن هذا النوع من الملابس يقضي على أنوثة الفتاة في رأيي، بعض الأثواب كالفساتين الواسعة التي اعتادت سعاد حسني على ارتدائها تظهر الفتاة كأميرة كل الأزمان، كفراشة تنتظر أن يحتويها كف رقيق، كرمز الحب في زحام الحياة، وأكبر دليل على ذلك فستان الفرح، أما عندما يكون قصيرًا وضيقًا.. فلا أملك غير أن أرى رغبة جنسية قوية تمشي على قدمين. أعلم أن رأيي يضعني في تصنيف الرجعي الذي يعيش في الجاهلية لدى جميع جمعيات الدفاع عن حقوق المرأة ولكن هذا ما أشعر به ولا أملك تغييره.

- حبيبي معك كل الحق، لم أرد أن أرتديه ولكن شيري (وحسابها معي لاحقًا) أصرت أن أغير من طريقة ملابسي لأشعر بالتجديد في حياتي.

ابتسم وتغيرت ملامح وجهه، وأخبرها أن الموضوع انتهى واعتذر على تعكير مزاجها في يومها المميز. نسيا الموضوع تمامًا وتحدثا عن الرواية التي يقرأها، وآخر رسوماتها، والمعرض الذي دُعيَت للمشاركة به، ولكن طوال الوقت كانت تشعر أنها عارية وتريد أن ينتهي اليوم حتى ترتدي شيئًا لائقًا، الحب يصنع المعجزات كما يقولون، ولكن هل إحدى هذه

المعجزات هي تغيير نظرتنا إلى أنفسنا؟ وتغيير مفاهيمنا؟ يبدو أن حب شذى لأدهم أوصلها إلى هذه الدرجة.

أخبرها أنه نسي هديتها في السيارة، همَّ بالذهاب لإحضارها ولكن شيري أعلنت أن الكعكة على وشك الحضور، تم إطفاء الكثير من الأضواء وإخفاض صوت الموسيقى، وقف الجميع حول الكعكة وبدأوا في الغناء، بعد أن أطفأت شذى الشموع تمنت بداخلها أن تظل مع أدهم إلى الأبد.

قبل أن تُفتَح الأنوار مال أدهم على أذنها وأخبرها أنه يعشق كل ما يمت لها بصلة، ولو كان عيد ميلاده لتمنى أن ينظر إلى عينيها ثم يتوقف الزمن لبضع سنوات. ابتسمت في حب، ثم أضيئت الأنوار وأحاط بها الجميع لتهنئتها، وعندما انفضوا من حولها بحثت بنظرها عن أدهم ولكن لم تجد له أثرًا.

أدهم

يقع الكافيه الذي اختاره أدهم لعيد ميلاد شذى في أحد المولات التجارية الشهيرة بالدور الأرضي، يتبع هذا المول مبانٍ بها مكاتب يتم تأجيرها للكثير من الشركات، وأحد هذه المكاتب مكتب المحاماة التابع لمحمد السيد جمال الدين، اختار أدهم هذا المكان بعدما تأكد أن المحامي يسهر في مكتبه كل خميس لقراءة ومراجعة جميع قضاياه.

فور أن تجمع جميع أصدقاء شذى حولها انسل خارجًا من دون أن يلحظه أحد، راجع في ذهنه الخريطة التي حفظها جيدًا، سيخرج من الباب الخلفي للكافيه الذي يُفتَح على المول، سيأخذ السلالم لدور واحد إلى الأعلى، سيجد على يمينه بابًا يفضي إلى ممرٍ يصل بين المول ومبنى المكاتب، هناك مشكلة صغيرة ستواجهه.. أمام الباب يقف رجل أمن، سيذهب للناحية الأخرى من السلم.. ومن دون أن يلحظه أحد سيترك كيس شيبسي فارغًا بداخله إحدى الألعاب النارية التي تعمل بعد دقيقة من إشعالها، يشعلها خلسة، بخطوات متثاقلة يمشي إلى أن يقف أمام الواجهة الزجاجية للمحل الملاصق لرجل الأمن، تمر الدقيقة ويصدر كيس الشيبسي صوت انفجار وشرارة خفيفة، يبدأ الجميع في الركض مبتعدين ويسود الهرج والمرج المكان، وكرجل أمن

مصري محترف.. يغادر رجل الأمن مكانه ليرى ما يحدث، وبالتأكيد عندما يعود يكون أدهم قد دخل من الباب وأصبح داخل مبنى المكاتب.

يترك أدهم أربعة مكاتب ويدخل إلى الخامس، ولأننا بعد ساعات العمل الرسمية بعدة ساعات يخلو المكتب من جميع الموظفين، يتجه مباشرة إلى غرفة محمد السيد جمال الدين، من دون أن يطرق الباب يمسك المقبض ويدخل الغرفة.

- من أنت وما الذي تفعله هنا؟

كان هذا صوت المحامي، قام أدهم بتجهيز الكثير من الأجوبة على السيناريو الذي توقع أن يدور بينهما، ولكن لسانه انعقد وتم حبس صوته في حنجرته كالسجين السياسي الذي لا يعلم متى سيخرج، لذا فضّل أن ينتهي من هذه المهمة الثقيلة على قلبه، ذهب مباشرة تجاه المحامي الذي شلته المفاجأة، وعندما أصبح أدهم أمامه صرخ بأنه سيتصل بالشرطة والأمن، وقبل أن ينهي كلماته كان مسدس أدهم الصاعق يقبل رقبته ويجعل جسده النحيف ينتفض ويقع أرضًا. في سرعة من قام بهذا العمل من قبل.. أخرج أدهم القفاز الأبيض المطاطي، ارتداه ووضع يده على رقبة المحامي وبدأ في اعتصارها، عكس المرة السابقة، لم يشعر بأي متعة، وعندما نظر إلى عينيه ليتأكد أن بريق الحياة اختفى.. شعر أنه يرى ابنة المحامي الصغيرة

وهي تعانق والدها من رقبته كما في الصورة. أغمض عينيه وضغط بكفيه بقوة لمدة دقيقتين إلى أن أحس باستكانة الجسد تمامًا.

في سرعة أخرج أنبوبة السبراي وكتب على الحائط أعلى المكتب. ثم انصرف.

في طريقه للخروج.. لم يذهب أدهم داخل المول مرة أخرى. خرج من المدخل الرئيسي لمبنى المكاتب. ألقى السلام على رجل الأمن الجالس في هدوء وروتين. غالبًا يلقى رجال الأمن الكثير من الاهتمام على من يدخل.. أما من يخرج فيستنتجون تلقائيًا أنه دخل من باب آخر. بخطى متمهلة حتى لا يبدو شكله مريبًا دخل إلى الكافيه.

عندما رأته شذى فقدت أعصابها وسألته في حدة أين كان طوال هذه المدة؟

في هدوء وبوجه يبدو عليه الاستغراب من عصبيتها أجاب:

- كنت في دورة المياه. وعندما انتهيت رن هاتفي فخرجت لأجيب بعيدًا عن ضوضاء وموسيقى عيد الميلاد.

- أعرفك منذ أشهر ولم يهاتفك خلالهم شخص واحد. أعلم أن هذا غير طبيعي ولكن لماذا هاتفك شخص ما الآن؟ وهل لي أن أعرف من هو؟

بهدوء شديد أخرج هاتفه المحمول من جيب سرواله ومد يده تجاهها في علامة أن تأخذه.

وقفت ساكنة ولم تدرِ ما الذي عليها فعله. قال لها:

- هذا هاتفي ألقي عليه نظرة حتى تعلمين إلى من تحدثت وكم دقيقة ظللنا نحكي، ولكن بعدهاعليكِ أن تتحملي نتيجة الشك في التأثير على علاقتنا.

هذا هو أدهم، نظراته تجعلها عارية.. وكلماته تجعل قلبها ينبض.. وأفعاله تربكها وتزيد من انغماس روحها في مملكة حبه.

ابتسمت وأبعدت يده، ثم أخبرته أنها تمزح وما جعل صوتها يعلو هو قلقها عليه لعدم معرفتها مكانه. وكعادتها أمسكت بكفه وقادته إلى طاولتهم، ألقى ميدو تعليق وضحك عليه كثيرًا هو وإحدى الفتيات اللواتي كن ترغبن في مرافقته، ثم قالت شيرى شيئًا على غرار "كنت فين يا صاااايع".

على الطاولة أمام مجلسه وجد أدهم طبقًا به قطعته من الكعكة، وطبقًا آخر به مكرونة بالصوص الأبيض وقطعة من اللحم مزينة بصوص يفوح منه رائحة الفلفل، وأمام شذى وجد طبقين يحملان نفس المكونات. نظر إليها بامتنان فأخبرته أنها لم تأكل معهم وانتظرته ليأكلا سويًا.

بعدما أنهيا أطباقهما، ذهب كل منهما إلى دورة المياه لغسل يديه ولتعدل شذى زينتها، عند عودتهما وجدا الجميع يرقصون في وسط الكافيه، جذبته شذى وبدآ الرقص معًا، كان أدهم راقصًا سيئًا.. ولولا معرفة شذى برقصه الأخرق لقالت إنه يتعمد دعس قدمها، ظلت تعدِّل من حركاته إلى أن توصلا لأسلوب توافقا عليه معًا وحفظ جميع

حركاته.. فأصبحا يكررانها من دون تغيير، لم يهمهما عمل عرض مثير أمام الناس، كان يكفيهما أن جسديهما ملتصقين ويتمايلان على أنغام الموسيقى. رقصا على بضع أغانٍ، ثم قالت شيري إن قائمة الأغاني القديمة ستبدأ الآن وصرخت بطريقة هستيرية Old is Goooold.

كانت الأغنية الأولى للبيتلز، بدأ صوت "بول مكارتني" الساحر يصدع ويتغلغل في النفوس فيجعل الجميع هادئين واثقين بقدرة العالم على الحب والعطاء..

"أعطيها كل حبي.. هذا كل ما أفعله..

السطوع هو النجوم التي تشع.. والظلام هو السماء..

أعلم أن حبي هذا.. لن يحدث ويموت.. وأحبها"

انتهت بهدوء وبدأت الأغنية الثانية، صوت جيتار خفيف يتبعه دندنة من المغني، تعابير وجه أدهم تبدأ في التغير، سألته شذى ما الأمر ولكنه لم يجب، ظلت تنظر إليه، وعندما وصلت الأغنية إلى المقطع الذي تم حفره في جميع زوايا ذاكرة أدهم بالحديد والنار..

" Oh Baby Baby it's a wild world.. Oh Baby Baby it's a wild world"

لم يستطع التحمل أكثر من هذا وبعنف شديد أفلت ذراعيه من بين يدي شذى وانطلق يركض خارج الكافيه.

لم يتوقف إلى أن ركب سيارته، أدارها وبدأ في الخروج، وفي اللحظة التي بدأ بالضغط على دواسة البنزين للمضي في الطريق وجد شذى أمام مقدمة السيارة، أشار لها بيده أن تبتعد ولكنها لم تتحرك، لم يدرِ ما عليه فعله، فتح زجاج السيارة، أخرج رأسه وصرخ بأن حالته الحالية لا تسمح له برؤية أحد.

بصوت متعب.. متردد.. خائف من رد الفعل.. يلهث من الركض خلفه.. أجابته:

- أدهم... أعلم جيدًا أن لديك ماضيًا شائكًا مليء بالغموض وفي الأغلب بالمفاجآت، فهذا لا يخفى على أي شخص يتعامل معك، ولكنني أحبك.. وصدق هذا أم لا، أنوي أن أقضي بقية أيامي إلى جانبك مهما علمت عن ماضيك، أنت لست مجرد شاب أدخل معه في علاقة، أنت السبب في بعثي من الموت الذي أتاني وأنا في السابعة من عمري واستمر إلى يوم التقيتك، لا أطلب أن تخبرني بكل شيء الآن.. ولكن أتمنى أن تبدأ.. وعندما نبلغ سن التقاعد أكون وقتها قد علمت عن حبيبي كل شيء.

وقفت منتظرة ردة فعله، لم يتفوه بشيء، ولكن بصعوبة بالغة أدركت أن ملامحه لانت قليلًا، ببطء تحركت، ذهبت وفتحت باب السيارة وجلست بجانبه، وعندما أغلقت الباب خلفها انطلق فورًا.

ظل يقود السيارة على غير هدى لعشر دقائق لم تنبس شذى خلالهم ببنت شفة، ذهب إلى الكافيه المفضل لديهما في المعادي، ولكنه كان

شديد الازدحام فغادر على الفور. لم يدرِ ما عليه فعله. فلا هو قادر على العودة إلى المنزل.. ولا يستطيع أن يطلب من الإنسانة الوحيدة التي تمثل نقطة النور في ظلمات حياته أن تغادر. ظل يقود السيارة في شوارع المعادي وأحيائها الهادئة إلى أن قاطعته قائلة:

- هل تعلم ما أريد فعله. أن آكل كعكة القرفة (Cinnabon) مع القهوة.

وكأنها أنقذته من عناء اختيار المكان. اتجه مباشرةً إلى المطعم الذي يقبع في أحد شوارع المعادي الرئيسية. ركن السيارة ودخلا.

كان مطعمًا صغيرًا يحتوي على أربع طاولات فقط. ولا يوجد بداخله أي زبائن. جلسا على إحدى الطاولات وجاء الجارسون (كان هو الموظف الوحيد). أخذ طلباتهما وبعد خمس دقائق وضع أمامهم كوبين من القهوة الساخنة تفوح منهما رائحة البن الطازج.. وفي المنتصف طبق بداخله كعكة صغيرة قررا أن يتقاسماها. بعدما أخذ أدهم الرشفة الأولى من قهوته ومن دون أي سابق إنذار.. شرعت شذى تبكي بحرقة وكأنها تحضر جنازة أحد أقارب الدرجة الأولى. نزلت الدموع من عينيها واصطبغت بلون كحلي غامق. أدرك الجارسون التوتر في الجو ودخل إلى غرفة تابعة للمطعم وتركهما وحدهما.

أعطاها أدهم منديلًا فبدأت بمسح دموعها. وعندما هدأت قليلًا قال:

- هل قرأتِ ثلاثية ميلينيوم لستيج لارسن؟

نظرت إليه باستغراب واستهجان شديد لردة فعله.

- إحدى الشخصيات الرئيسية في هذه الثلاثية فتاة في الخامسة والعشرين تسمى ليزبث سالاندر، فتاة منطوية غريبة الطباع لا تتعامل مع أحد ولا تدع أي شخص يقترب منها، يتم اتهامها بجريمة قتل، فيهمّ صحفي معروف بالدفاع عنها لثقته في براءتها، يقوم بالبحث في ماضيها ويكتشف أشياء مذهلة.. ولكنه يواجه حائطًا مغلقًا عند العام ١٩٩١.. عندما كانت في الحادية عشر من عمرها، يسألها مرارًا عما حدث هذا العام ولماذا تم حذفه من جميع الوثائق الرسمية وكأنه غير موجود.. ولكنها ترفض رفضًا قاطعًا الحديث وتكتفي بجملة واحدة هي "لن أتحدث عن العام الذي حدثت فيه كل الأمور السيئة".

هل تعلمين لماذا رفضت الحديث؟ لأنها تحدثت كثيرًا في السابق ولم يصدقها أحد، لأن الحكي لن يغير من الماضي شيئًا، لأنها أحبت هذا الصحفي وشعرت أنه إذا علم ماضيها ستصبح عارية أمامه، لأنها تريد نسيان هذه الفترة من حياتها بأي ثمن، ولهذه الأسباب مجتمعة.. لا أود الحديث معكِ عن أي شيء في الماضي الخاص بي، لا أعلم ما يحمل المستقبل لنا وهل من الممكن أن أغير رأيي أم لا.. ولكن إلى هذا الحين أتمنى أن تتقبَّلي صمتي الذي أعلم جيدًا أنه غير مريح ومُقلِق بالنسبة إليك.

ابتسمت، وقالت له:

- سأحاول، ولكنك تعلم أن حب شخص بهذا الغموض ليس سهلًا.

- أقسم لك إنني أعلم تمام العلم وأحيانًا كثيرة أشفق عليك، سامحيني.

اتسعت ابتسامتها وأمسكت بكفه، ونظرت إليه في حب وكأنها تقول حسنًا سامحتك هذه المرة. نظر إلى عينها العسليتين وشفتيها اللتين اصطبغتا بلون نبيتي ثقيل، شعرها المنسدل بنعومة على جانبي وجهها، رائحة العطر الرقيقة التي تفوح من جسدها، صدرها وهو يعلو ويهبط مع صوت تنفسها الهادئ، وأخيرًا طريقة إمساكها بكفه في حب.. وكأن كفها يحتضن طفل صغير يحتاج إلى كل عناية ممكنة. أراد أن يوقف الزمن ويحتفظ بهذه اللحظة التي تتكرر كل بضعة أعمار مرة واحدة.. حتى يستدعيها في لياليه الموحشة عندما تقطع الوحدة أوصاله بسكين صدئة.

تحدثا بصوت خافت لبعض الوقت وأنهيا القهوة والكعكة، ثم طلبت منه أن يوصلها إلى مكان عيد الميلاد مرة أخرى فشيري وأصدقاؤها قلقون عليها وبعثا لها الكثير من الرسائل، ذهب ليدفع الحساب وسبقته إلى السيارة، وعند خروجه من الباب لاحظ المنديل الذي مسحت به دموعها على الطاولة، لم يتصور أن يتم رمي هذا المنديل الذي يحمل دموع أجمل فتيات العالم وأرقهن في سلة المهملات، أخذه ووضعه برفق في حافظة نقوده، ثم ذهب إلى السيارة.

وصلا إلى الكافيه، قامت بتوديعه وهمّت بالنزول، استوقفها، ثم أخرج من درج سيارته علبة فضية اللون وقال لها مبتسمًا كل عام وأنت

بخير. لم تقوَ على الانتظار وأخبرته أنها ستفتحها الآن. وجدت العلبة من الداخل منقسمة قسمين.. على اليمين هناك قلادة فضية بها دلاية عبارة عن أشرطة على هيئة كرة، وعلى اليسار هناك علبة دائرية كعلب التونة، والغريب في الأمر هو وجود صَدَفَة بداخلها. نظرت إليه متسائلة، قال مفسرًا:

- أردت شراء شيء مميز، فلم أجد أفضل من تزيين عنقك بلؤلؤة كانت في أعماق البحر، تحتوي الصَدَفة على لؤلؤة، تنزعيها من مكانها وتضعيها بداخل الدلاية.

بالفعل فتحت الصدفة وأخرجت اللؤلؤة، صحيح أن الماء داخل العلبة وقع على قدميها وعلى كرسي سيارته ولكن هذه اللحظات الرومانسية تجعلنا نتناسى أشياء كهذه، وضعت اللؤلؤة في الدلاية وقامت بارتداء القلادة، لمست شفتيها بأطراف أصابع كفها وقذفت لأدهم قبلة في الهواء بدلال، ثم انصرفت مغادرة.

العقيد حاتم

"هذا يوم سيء". تعبير نطلقه كنذير شؤم عندما يحدث أمر غير مرغوب فيه في بداية اليوم، قد يكون بسبب طريق مزدحم أو ارتطام سيارتك أو حتى اكتشاف انتهاء علبة كريم الحلاقة. ولكن هذا اليوم السيء لدى حاتم كان مختلفًا. فقد استيقظ على مكالمة هاتفية من رئيسه المباشر، اللواء فهمي وهبة. فور أن وقعت عيناه على شاشة الهاتف اختفى النوم من عينيه كأنه مستيقظ منذ الأزل:

- معالي الباشا تحت أمر سعادتك.

- لدينا مصيبة يا حاتم والصحافيين بدأوا في التحرك بالفعل.

أحيانًا يعتقد حاتم أن عملهم الأساسي هو تجنب الفضائح أكثر من العثور على الجناة.. فإذا لم تتدخل الصحافة والإعلام في القضية تصبح التحريات كالحصول على الجنسية الأمريكية.. بطيئة وطويلة ولا أحد يعلم متى ستنتهي وغالبًا تقابل بالرفض، أما عندما تصبح الصحافة جزءًا من القضية.. وقتها تتحول الشرطة إلى مجموعة من الخبراء الألمان العاكفين على صُنع سيارة جديدة.

- هل تذكر الضابط الذي تم قتله خنقًا في أحد النوادي الليلية؟

- بالتأكيد يا أفندم.

- لدينا اليوم جريمة قتل أخرى. تم تنفيذها بنفس الطريقة حرفيًا.. وتم كتابة شيء ما بالإسبراي أعلى الجثة. مما لا يدع مجالًا للشك بأن القاتل واحد. الضحية محامي مشهور يدعى محمد السيد جمال الدين. قام بمساعدة الشرطة مرارًا. وجود قاتل طليق يضع يديه على من يريد من صفوة المجتمع يضعنا في موقف لا نُحسَد عليه. جريمة واحدة لا ضرر منها.. ولكن سلسلة جرائم تمثل مادة إعلامية لأي صحيفة كبيرة أو حتى صحيفة فضائح صفراء.

صمت قليلًا ثم أضاف:

- الجريمة تم ارتكابها في منطقة غير تابعة لنا ولكن لتطابقها مع الجريمة السابقة تمت إحالتها لك. إليك العنوان.

بعدما كتب حاتم العنوان وأغلق الهاتف.. بدأ في ارتداء ملابسه وعقله يصارع الزمن. يأمل ويدعو أن يكون القاتل قد ترك أي علامة تدلهم عليه. إذا كان مجنونًا يقتل لأجل المتعة (وحاتم يشك كثيرًا في هذا الاقتراح) فالعثور عليه سيكون شديد الصعوبة. أما إن كان يقتل أشخاصًا بعينهم فمن الممكن البحث عن رابط بين الضحيتين.

انتهت أفكاره مع وصوله إلى مكتب المحامي. وجد فتحي أمين الشرطة في انتظاره. وكعادته بدأ في الشرح ولكن حاتم استوقفه بإشارة من يده. وجد الطبيب الشرعي عاكفًا على العمل في الجثة التي تحوّل لونها إلى القرمزي وبدأت رائحة عفنة تصدر منها. سأله كإجراء روتيني عن سبب الموت رغم معرفته السابقة به. فأجاب:

- مات الرجل مخنوقًا، يُرجّح أن يكون وقت الوفاة يوم الخميس مساءً بعد العاشرة، استيقظت زوجة الضحية في الجمعة صباحًا ولم تجد زوجها بجانبها كالعادة، هاتفت جميع معارفه ولم تجده، وعندما غلبها اليأس ذهبت إلى مكتبه ووجدت جثته فقامت بالاتصال بالشرطة.

- هل وُجِدَت أي بصمات؟

- رفعنا جميع البصمات، وسنأخذ بصمات جميع العاملين في المكتب، إذا وجدنا أي شيء مختلف سيكون لديك مشتبه به، أما إن لم نجد..

لم يكمل جملته لأن الجميع فهموا ما يرمي إليه.. وهو ما يحدث عادةً، فموضوع البصمات أصبح لا يخفى على أحد، إذا ارتكبت جريمة وتركت بصماتك.. سيكون السبب الوحيد هو رغبتك في أن يقُبَض عليك وليس سهوًا أو لعدم العِلم.

لم يفت حاتم أن يكتب الجملة التي كُتِبت بإسبراي أسود على الحائط فوق الجثة مباشرة، أخرج قلمًا من جيب قميصه ومفكرته ونقل ما هو مكتوب:

"فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور"

بعدما أنهى جميع الإجراءات عاد إلى مكتبه ليبدأ في ترتيب أفكاره، في خلال ثلاث ساعات قام باستجواب جميع معارف المحامي المقربين، زوجته وأخوه وشريكه في العمل وسكيرتيرته ووالده ووالدته، تقريبًا معلومات بلا قيمة ولكن قد يحتاج إليها لإكمال قطعة ناقصة في أهمية مستقبلية. راجع تقرير الطب الشرعي.. الذي أخبره كما هو

متوقع أن جميع البصمات في المكتب تمت للمحامي وسكيرتيرته فقط.
وضع احتمال أن يكون شريكه في العمل أو سكيرتيرته أو أحد موظفيه
من قتله.. ولكن جميعهم تم تسجيل خروجهم عند الأمن قبل الوفاة
بثلاث ساعات على الأقل، ولم يتم تسجيل دخول أي منهم مرة أخرى.
بالتأكيد هناك ما يقارب الثلاثمئة موظف داخل مبنى المكاتب بأدواره
الثمانية، لذا قام بالتحقيق مع من سهر منهم للعمل لما بعد العاشرة،
كان عددهم خمسة فقط، أدلوا بأقوالهم وأخبرهم أنه سيتم الاتصال
بهم إن جدَّ شيء ما.

انتهى من هذه التحقيقات والاستجوابات في السادسة مساءً، تبقى
أمران وجب عليه الاهتمام بهما، الأول هو الكتابة على الحائط أعلى
الجثة، كان المكتوب هذه المرة هو:

"فاجتنبوا الرِّجسَ من الأوثانِ واجتنبوا قولَ الزورِ"

يعلم أنها آية من القرآن الكريم، فكتبها على محرِك البحث جوجل
وبجانبها كلمة تفسير، وجد الكثير من المواقع تشرح الآية الكريمة،
فانتقى ما بدا له أن به الشرح المبسط، استطاع فهم المعنى العام
للآية، "فاجتنبوا الرجس من الأوثان" تعني ابتعدوا عن عبادة أي شيء
غير الله سبحانه وتعالى فهذا رجس، "واجتنبوا قول الزور" أي ابتعدوا
عن أن تشهدوا بين الناس بغير الحق، بعض التفاسير قالت إن الربط
بين اجتناب الرجس من الأوثان (الشرك) واجتناب قول الزور (الشهادة

بين الناس بغير الحق) في الآية الكريمة لأن ذنبهما واحد.. أي أن الشرك بالله يوازي شهادة الزور.

أغلق محرك البحث ثم الكمبيوتر وأشعل سيجارة، نادى على صبي المشروبات وطلب منه عمل فنجان قهوة مظبوط.

إذا أراد أن يأخذ الآيات التي كتبها القاتل على الحائط على محمل الجد، فسيجد نفسه أمام أحد ثلاثة أنواع من القتلة، الأول هو مجنون يريد أن يدفع الصحافة للاهتمام به، يحقد على الطبقة العليا من المتعلمين وأصحاب المناصب كالضابط والمحامي ويريد أن يعوّض النقص في حياته، لا يتفق حاتم مع هذا الاحتمال كثيرًا لأن الفقر الشديد والحياة الصعبة في مصر لم تترك مجالًا لرفاهية الجنون، إذا قام أحدهم بارتكاب جريمة فهذا لأجل مصلحة شخصية، سنوات طويلة من العمل مع المجرمين علمته هذه الحقيقة.

الاحتمال الثاني هو شخص يريد معاقبة المجتمع، وهو أصعب أنواع المجرمين.. فهو يعتقد أنه على حق ولا يخشى الموت في سبيل إتمام ما يقوم به، وبالتأكيد لن يتوقف بعد عدد معين من الجثث. نقاط قوة هذا الاحتمال هو ما كُتِبَ على الحائط، في المرة الأولى يكتب ما معناه سماع صراخ المظلومين وصُنع الخلاص علانية، والمرة الثانية شيء عن شهادة الزور وهو ما يليق بمحامٍ، فلا يوجد محامٍ نظيف مائة بالمائة حتى وإن أراد، فعمل المحامي هو الدفاع عن المتهم أيًا كان، وإذا تلاعب بالقانون وأنقذ مذنبًا يصفق له الجميع على عبقريته وتزداد شهرته،

ربما أراد القاتل أن يقتل شخصًا من كل مهنة.. كرمز لهذه المهنة، كما كان يفعل القاتل في فيلم Seven أحد أشهر أفلام القتلة المتسلسلين.

ثالث الاحتمالات وهو ما يميل إليه حاتم، أن تكون هذه الجرائم انتقامًا شخصيًا، شخص تم ظلمه من قِبَل ضابط ومحامٍ وأراد أن يأخذ حقه بيده. ربما يميل إلى هذا التحليل لوجود خيط رفيع يمكن أن يؤكده.. وهو في أمسِ الحاجة إلى أي بريق نور في هذه القضية مهما صغر، هذا الخيط هو البحث عن رابط بين الضحيتين.. قضية عملا فيها معًا، قيام الضابط بتوكيل المحامي من قبل، احتياج المحامي إلى الضابط، قرابة بعيدة، صداقة قديمة، أي شيء.. أي طرف خيطٍ بالٍ رفيع وغير مرئي يمكنه من تتبع القاتل أو معرفة بعض المعلومات عنه بدلًا من الظلام الذي يحيط بالقضية.

أخرج ورقة كبيرة من درج مكتبه وبدأ في كتابة خطوات البحث عن رابط بين الضحيتين، قبل أن يبدأ في الكتابة دخل صبي المشروبات ووضع فنجان القهوة أمامه وانصرف في هدوء، رشف ثلاث مرات من القهوة مستمتعًا بمذاقها الذي تعوَّد عليه وأصبح يعشقه، ثم بدأ في الكتابة.

بعد حوالي ربع الساعة امتلأت الورقة عن آخرها، أعاد قراءتها سريعًا قبل أن ينادي على فتحي أمين الشرطة ليبدأ في تنفيذ تعليماته وجمع المعلومات، كجميع القضايا التي عمل عليها المحامي وملفاتها من مكتبه، سؤال زوجته عن مكان أي خزينة في المنزل يضع بها أوراقه،

سؤال جميع معارفه إذا كان الضابط وليد سامي رضوان أحد معارفه أو سبق له التعامل معه، والشيء نفسه بالنسبة إلى الضابط بالتأكيد.
عندما وجد أن الساعة تعدت السابعة.. بدأ بجمع حاجياته للمغادرة، سينام هذه الليلة كما ينام الطالب ليلة الامتحان.. فغدًا سيكون اليوم الأول بعد عِلم الصحافة بموضوع الجريمة، سهام تُقذَف واتهامات بالتقصير وعشرات الدراسات عن معدل الجريمة المتزايد ولقاءات مع أسر الضحية يزيد بها عدد المتابعين للصحيفة أو القناة.
فور أن فتح باب السيارة رن هاتفه، نظر إلى الشاشة واقشعرَّ بدنه قليلًا، قرر ألا يرد، وركب سيارته وانطلق.
لم يلبث الهاتف أن أعاد الرنين، وكما يمتنع مدمن الهيروين في البداية ثم يستنشقه سريعًا فيشعر بالراحة، ضغط حاتم زر الإجابة من دون تفكير.

- مرحبًا.
- أيها الندل، لماذا لا تسأل، لأنك ضابط لا تريد الحديث مع صحفية مثلي، سأفضحك في الصحف والجرائد.
- ناديا الشقراء، لا تظهرين غير مع الحوادث أوالجرائم.
- بمناسبة الجرائم أود أن أخبرك أنك ستصبح في شُهرة أحمد السقا مع ظهور الجرائد غدًا، المحامي محمد السيد رحمة الله عليه كانت له مكانة في مهنته وبعض الشهرة، ومقتله لن يمر مرور الكرام.

- قولي شيئًا جديدًا.. أعلم بالتأكيد، سيكون نومي عصيبًا وأنا أحلم بالعناوين المبتكرة غدًا، لدينا جفاف في الإبداع في كل شيء ما عدا عناوين الصحف.. عندما تتحدث عن الجرائم يتحول كل كاتب إلى شكسبير في أقوى مسرحياته وأشعاره.

- لا تهتم، ينبحون لبضعة أسابيع ثم ينسون الأمر برمته، أريد مقابلتك، أريد سبقي الصحفي.

- لا أستطيع أنا متعب وبحاجة إلى الراحة و..

- الكافيه المعتاد، عشر دقائق لا تتأخر.

ثم أغلقت الهاتف. ناديا.. صحفية تعشق مهنتها، عرفت بناديا الشقراء نسبةً إلى لون شعرها الذهبي، لبنانية الأصل، جاءت إلى مصر مع أسرتها عندما بدأ والدها العمل كدبلوماسي في السفارة اللبنانية، درست الإعلام بإحدى الجامعات المصرية، ثم فضّلت العمل بمصر ولم تعد إلى لبنان مع عائلتها. بدأت العمل بصحيفة صغيرة، ثم تدرجت وذاع صيتها بين أوساط الصحافيين والإعلام، إلى أن أصبحت صحافية ذات شأن وصاحبة قلم. يمكنها أن تزور حارس إحدى البنايات في قريته في الصعيد إذا كان سيعطيها سبقًا صحفيًا، وهذا هو سبب نجاحها الرئيسي.. الركض وراء الأخبار وكأن حياتها متوقفة عليها. تعود معرفتها بحاتم لأربع سنوات، تعرفت إليه في إحدى الجرائم بحي شعبي سمعته تنافس فساد السياسيين المصريين، فلم يصدق

نفسه عندما وجد فتاة بهذا الجمال وهذه الملابس الملفتة وقد دخلت إلى هذا الحي لتنقل ما حدث.

من كثرة نظرات الرجال والنساء بالحي إليها.. شعر بالحاجة إلى حمايتها. فطلب منها أن تبقى بجانبه ولا تغادر، وافقته على شرط أن يعطيها كل المعلومات الممكنة التي تتيح لها الكتابة عمّا حدث بحرية، وكأي رجل يجد الفرصة للتعرف أو التقرب من فتاة جميلة حتى ولو كان متزوجًا.. لم يكذِّب حاتم خبرًا، وأخبرها أنه سيبقى معها قدر ما تريد فور أن يغادرا هذا الحي. جلسا يومها في أحد الكافيهات، وتم اعتباره مكانهما المعتاد. فبعد هذا اللقاء أصبح حاتم ضمن معارفها ومصادرها.. فأبقت على علاقة حسنة معه، تحدثه بدلال، تتذكر عيد ميلاده، إذا احتاج أي معلومة من الصحافة تكرث كل اتصالاتها لمعرفتها وإعطائها له، تهاتفه من وقت لآخر وتسأل عن أخباره.

في الوقت الذي اعتبرته ناديا من مصادرها أو معارفها، كانت بالنسبة إليه.. العزاء الوحيد، كالطفل للمرأة الأرملة التي فقدت زوجها وولدها هو ما يساعدها على الصبر، ككوب من القهوة في وسط يوم عمل مليء بالمشاكل، كشعاع من الشمس لسجين يعيش تحت الأرض. بعد أن أصبح الزواج بالنسبة لحاتم كسجنٍ ذي أبواب مفتوحة.. يمكنه أن يغادر ولكنه لا يريد حتى لا يتأثر أي من أطفاله الثلاثة، جاءت ناديا لتعطيه أقل القليل مما يحلم به، حتى ولو كان غير حقيقي، يكفي أن يتخيل أنه حقيقي، الجلوس مع فتاة في غاية الجمال والجاذبية،

نظرات الرجال إليه حين يكون برفقتها، صوتها الرقيق وهي تداعبه، السؤال عليه، باختصار.. مشاهد تساعده على عَيْش حياة أفضل في مخيلته عندما يشتد ظلام الحياة الحقيقية.

وصل وركن سيارته. يُعتبَر مستوى الكافيه فوق المتوسط بقليل، طاولات وكراسي معدنية حديثة الطراز، إضاءة خافتة برتقالية اللون، أشهر أغاني العام الماضي تصدح في الخلفية بلا توقف، الجارسونات يعملون منذ بضع سنوات فقاموا بحفظ معظم الزبائن.

وجد فاتنته سليطة اللسان تجلس على طاولة ذات مقعدين تقرأ إحدى الجرائد. كانت ترتدي قميصًا أبيض قصير الكمين مفتوحة أزراره العليا، على بنطلون جينز داكن اللون، وحذاء بني ذو كعبٍ عالٍ لا يقل طوله عن ١٣ سنتيمتر، يزين وسطها حزام له نفس لون الحذاء، وتركت شعرها الأشقر هائشًا كشعر المغنية الشهيرة مريام فارس. جلس قبالتها فابتسمت وتركت الجريدة من يدها:

- حضرة الضابط شخصيًا، إذا كنت مؤمنة بموضوع الزواج لتزوجتك بلا تردد.

دعاباتها عن رغبتها في الارتباط به دائمًا ما ترضي غروره الذكوري، رغم معرفته ويقينه من أنها لا تعني ما تقول.

- إيمانك أو عدمه ليس مهمًا فأنا متزوج.

- ومتى كان الزواج عائقًا بالنسبة إلى أي رجل؟ معظم الرجال يتبعون مبدأ الوفاء إلى أن تأتي فرصة غير متوقعة على طبق من ذهب، وقتها

يتحولون إلى خبراء قانونيين يحرفون مبادئهم باحترافية عالية تجعلك تشعر أنهم مجرد ملائكة ولكن الظروف هي التي أجبرتهم.

جاء الجرسون في هذه اللحظة، فطلب حاتم كوبًا من الشاي وطلبت ناديا عصير ليمون.

سألته عن جريمة الضابط والمحامي، حكى لها كل شيء بالتفصيل، وأعطاها بعض صورهم القديمة حتى تدرجها في مقالها. أخبرها ما يتوقعه وما سوف يقوم به، ناقشته في بعض النقاط، وطلبت منه أن يخبرها إذا احتاج إلى أي شيء.

بعد قليل جاء الشاي والعصير، قاما بشربهما على مهل وهما يتحدثان في أشياء عامة، وعندما انتهيا قام حاتم بدفع الحساب. ركبت معه السيارة وأوصلها لمنزلها في الزمالك، وفي خلال الطريق.. قام بتشغيل أكثر الأغاني رومانسية وأحبها إلى قلبه، وكأنه يريد أن يعذب نفسه أكثر.

ميدو

الرضا عن النفس.. أحد أصعب الأشياء التي تواجهنا، ولكن بالنسبة لميدو لم تكن شيئًا يصعب الوصول إليه. فهو من أسرة شديدة الثراء، والداه منفصلان منذ أن كان في العاشرة من عمره، بعد هذا الانفصال أصبح ميدو كأحد الأمراء المدللين.. لا يتم رفض أي طلب له، كلا الوالدين أصبح يتنافس على رضائه، فنشأ مدللًا لا يعرف معنى أن يريد شيئًا ولا يحصل عليه. حتى عندما دخل الجامعة وأصبح الرسوب صديقه المقرب.. لم تتغير معاملة والديه معه وأصبحت السيارات والنقود المطلوبة تتدفق دون انقطاع.

لم تكن هذه الأشياء هي السبب الوحيد لرضاء ميدو عن نفسه، السبب الأكثر أهمية هو الأهداف قصيرة المدى التي يضعها في حياته.. وإذا ما استطاع تنفيذها يشعر وكأنه ملك العالم وما فيه. لا يهمه كبر هذه الأهداف أو صغرها، المهم هو تنفيذها.

في عامه الأول في الجامعة، قرر أن يسرق امتحان نهاية العام في مادة كان يكره الأستاذ المسئول عنها، ليس لأنه يخشى الرسوب، ولكن لكي يوزعه على باقي الطلاب ويجعل شكل الأستاذ سيئًا أمام إدارة الجامعة. ظل لشهرين يسأل عمن يمكن أن يسرق له الامتحان مقابل

مبلغ من المال. وفي بلدنا الحبيبة يستطيع المال عمل الكثير. فاستطاع ميدو أن يحصل على نسخة من الامتحان وقام بتسريبها ليلة الاختبار. الغريب في الأمر أن ميدو رسب في هذه المادة. قام بتسريب الامتحان ولم يكلف نفسه عناء مراجعة الإجابات. فقد كان شعور الانتشاء بنجاحه في مهمته أقوى من أن يضيع الوقت في المراجعة.. ولو كانت دقائق قليلة.

تكررت أهدافه الصغيرة كثيرًا. من فتيات أراد مصادقتهن وامتحانات مسرّبة إلى أنواع مخدرات جديدة قام باستيرادها خصيصًا لعدم توافرها في مصر. ولكن هذه الأيام سيطر على تفكيره آخر هدف وضعه وإلى الآن لم يتم تنفيذه: مصادقة شذى. لا يعلم ما هو المطلوب أكثر من هذا. فقد قام بإهدائها الكثير من الهدايا الثمينة. وقامت بردها جميعًا إليه. ما عدا هدية عيد ميلادها التي تبرعت بها إلى جمعية خيرية وأعطته وصلًا بالمبلغ. كاد أن يصفعها على وجهها من شدة غيظه ولكنه تماسك وهدأ نفسه بأن انتقامه سيأتي وعليه بالصبر. حاول محادثتها كثيرًا والتغزل في جمالها. تجاهلها أحيانًا أخرى وحاول إثارة غيرتها عن طريق فتيات أخريات. حضر جميع عروضها الفنية وامتدح لوحاتها وحاول فَهم المعنى الذي ترمز إليه وابتاع الكثير من هذه اللوحات. هاتف والدتها. فعل كل ما يمكن تخيُّله حتى تقع في غرامه. ولكن لسببٍ ما لم تلتفت إليه. لم ييأس. وأرجع الأمر إلى أنها واقعة في غرام شاب أخرق يدعى أدهم. كل ما عليه هو أن يجعلها

تنفصل عنه، وقتها سيصبح في مقدورها النظر بطريقة صحيحة بعيدًا عن الحب الذي يسبب العمى.

ولكي يجعلها تنفصل عن أدهم، تفتق ذهنه إلى الاستعانة بشركة تحريات خاصة، كان قد استعان بهم من قبل في إحدى عملياته.

قبل مغادرة منزله نظر إلى المرآة، تأكد أن شعره مصفف ولامع، وضع يديه على ذقنه البيضاء حتى يتأكد أنها حليقة وناعمة، ملابسه مهندمة، لديه كرش صغير ولكنه مقتنع (بعد فشل الكثير من المرات في الاستمرار على حمية) أن الرجل لا تعيبه سمنته. أخذ سلسلة مفاتيحه الذهبية وحافظة نقوده وانصرف.

ذهب إلى إحدى الحانات الرخيصة، على طاولة في الركن.. وجد شابًا يرتدي بدلة سوداء اللون تبدو مهترئة قليلًا ولكن يبدو عليها أنها كانت غالية الثمن في يوم من الأيام. ذهب إليه وجلس أمامه، ومن دون التفوه بكلمة أعطاه ظرف يحتوي على ٩٠٠ دولار والكثير من الصور لأدهم مع ورقة بها عنوانه وبياناته، لم يرد إرسال الصور عبر الإيميل زيادة في الحرص خوفًا من أن تتم سرقة إيميله أو اختراق جهازه في أحد الأيام، وأيضًا عدم ثقة في شركة التحريات فلم يرد لها أن تعلم أي شيء عنه. بعدما راجع الشاب محتويات الظرف قال:

- دعني أراجع معك، أنت تريدنا أن نتتبع هذا الشاب ونقوم بتصويره وهو يقوم بأي شيء مشبوه، كشُرب مخدرات أو التواجد مع أي فتاة وحدهما ما عدا المدعوة شذى.

- أجل، أي شيء يمكنك الحصول عليه أريده مسجلًا.

- لا تقلق، قم بمهاتفتي في أول كل أسبوع حتى أطلعك على التطورات.

- حسنًا سأفعل، ومرة أخرى لا أريدك أن تتصل بي مهما حدث و..

قاطعه قائلًا:

- أعرف أعرف، سأنتظر هاتفك فقط.

ومن دون أي سلامات قام الشاب من مكانه وانصرف. دفع ميدو الحساب، وذهنه ينتظر نهاية الأسبوع بفارغ الصبر.

العقيد حاتم

بدأ العقيد حاتم يومه بمطالعة الصحف وقراءة الأخبار التي ذكرت جريمتي القتل، كما توقع.. الجميع انتهز الفرصة ليظهر قدرته على انتقاء العناوين الرنانة.

"قاتل طليق في أنحاء القاهرة يستهدف النخبة"

"الشرطة تقف عاجزة أمام قاتل الضابط والمحامي وتتوقع المزيد"

"هل جزاء خدمة الوطن هو الموت؟"

يطوي الجرائد أمامه ويبدأ في ارتشاف كوب الشاي الثقيل. يسمع طرقات على الباب فيأذن بالدخول ليجد فتحي أمين الشرطة:

- لدي أخبار سارة معاليك. القتيلان: الرائد وليد سامي رضوان والمحامي محمد السيد جمال الدين عملا معًا في ثلاثة قضايا. الأولى عام ٢٠٠٦ في حادثة قتل، الثانية بعدها بعام واحد في قضية اتهم فيها الضابط بالتربح من العمل، والثالثة في عام ٢٠١٢ عندما كان الضابط شاهدًا لصالح أحد موكلي المحامي.

تناول حاتم أوراق القضايا الثلاث من يد فتحي ثم صرفه. اعتدل ليبدأ قراءة هذه القضايا التي جمعت الضحيتان معًا.. وهو يعول كثيرًا في

العثور على مفتاح يقوده إلى القاتل بين ثنايا هذه الأوراق. ارتشف ما تبقى في كوب الشاي مرة واحدة، ثم بدأ القراءة.

المرة الأولى التي عملا فيها معًا كانت في العام ٢٠٠٦، حدثت بعض المشكلات بين اثنين شقيقين على ميراثهما من والدهما، وانتهى الأمر بأن قتل الأخ الأصغر أخاه الكبير. فكان الرائد وليد هو الضابط الذي تم تبليغه وإرساله إلى الحادث.. ومن ثم الشهادة في المحكمة، ومحمد السيد كان المحامي الذي أثبت شروع الأخ الأصغر في قتل أخيه.

القضية الثانية في ٢٠٠٧. تم اتهام الضابط بالتربُّح من العمل واستغلال نفوذه، وكان مقدم البلاغ شابًا يتاجر في الأجهزة الإلكترونية ولديه محل صغير، زعم أن الرائد وليد فرض عليه مبلغًا شهريًا في مقابل تركه يعمل بسلام، وكان محمد السيد هو محاميه.. ونجح في أن يخرجه من القضية كالشعرة من العجين وتمت تبرئته من جميع التهم.

القضية الأخيرة وقعت في عام ٢٠١٢ أي منذ عام واحد. أحد موكلين المحامي، رجل أعمال شديد الثراء وعلى قدرٍ من الشهرة، تم اتهامه بقتل زوجته الشابة وجميع الأدلة كانت كافية لإحالة أوراقه إلى المفتي، ولكن بطريقة ما.. صرّح المحامي المحنك بعدم تواجده في مكان الجريمة، وأثبت بالكثير من الأدلة أن موكله كان في أحد أقسام الشرطة لتحرير محضر سرقة ضد أحد موظفيه في الشركة، وقام الرائد وليد وأكثر من أمين شرطة وعسكري بالشهادة على تواجده بالقسم وقت حدوث الجريمة.

أخرج ورقة فلوسكاب من درج مكتبه وقلمًا جافًا، وكتب جميع أسامي المشاركين بالقضايا الثلاث، القضية الأولى كتب اسم وبيانات الأخين الاثنين، القضية الثانية اسم الشاب صاحب محل الأجهزة الإلكترونية وبياناته، القضية الثالثة اسم رجل الأعمال وزوجته الشابة. ثم نادى على فتحي بصوتٍ عالٍ وانتظر حضوره. عندما استأذن فتحي ودخل قال:

- لديك خمسة أسماء، أريد جميع البيانات والمعلومات التي يمكننا جمعها عن أقربائهم ومعارفهم المقربين. المفترض وجود ثلاثة منهم على قيد الحياة، أريد معرفة أماكنهم وسنقوم بزيارتهم للتحقيق معهم.

- تحت أمر معاليك.

ثم همَّ بالمغادرة، ولكن حاتم استوقفه بيده قائلًا:

- شكلك ليس طبيعيًا، ما الأمر.

- لا شيء سعادة البيه، متاعب الحياة العادية.

- حسنًا، لا أريد أي تأخير في هذه القضية قم بتأجيل أي أمر آخر في الوقت الراهن.

- تحت أمر سعادتك.

ثم استدار مغادرًا، وترك حاتم وحيدًا مع أفكاره.

شذى

عادةً لا يمكن أن تذهب شذى إلى منزل أحد أصدقائها الشباب، ولكن في هذا اليوم.. غادرت منزلها في التاسعة صباحًا، ارتدت سروالًا "جينز" أزرق اللون، فوقه بلوزة كحلية يعلوها بالطو أسود طويل يصل إلى منتصف ركبتها، ووضعت قدميها الصغيرتان في حذاء أسود عالي الكعب والعنق. غادرت المنزل وتوقفت عند سوبر ماركت شهير، خرجت محمّلة بكيس امتلأ عن آخره، ركبت السيارة وذهبت مباشرةً إلى منزل أدهم. قبل النزول من السيارة نظرت إلى وجهها في المرآة.. وضعت القليل من الروج داكن اللون فأصبحت شفتاها في لون النبيذ، ثم وضعت القليل من الحمرة على خديها وصففت شعرها الناعم بيديها، ثم غادرت السيارة.

ترددت لجزءٍ من الثانية قبل قرع الجرس وكادت أن تغادر.. ولكن يدها سبقتها وقرعته. مرت دقيقة وفتح أدهم الباب، ومع رؤيته ذاب كل توترها، تفاجأ لثانية ثم ابتسم وأفسح لها مكانًا لتدخل بطريقة طبيعية للغاية وكأنهما زوجان يعيشان معًا. لهذا السبب تحديدًا لم تشعر بالخوف أو سوء الظن من الذهاب إلى منزله ومفاجأته، كل ما تفعله يبدو له طبيعيًا ومقبولًا منها، وكأنها ملكة يحق لها أن تتصرف

كيفما تشاء. لم يسبق له أن وضع يديه حول كتفها أو أمسك يدها. هي التي داعبت أصابعه بكفها عدة مرات فأصبح كفاهما يتعانقان مع كل لقاء. الشعور بأنها غير مرتبطة عندما تكون مشغولة والشعور بالاحتواء عندما تكون معه. تعلم جيدًا أنه من النوع الذي لن يعتبرها فتاةً لعوبًا إذا جاءت إلى منزله وهي تعلم أنه يعيش وحيدًا. أطنان من الثقة بُنيَت في وقتٍ قصير لا يتعدى بضعة أشهر هي مدة علاقتهما.

دخلت إلى منزله. دعاها للجلوس على أريكة كلاسيكية مذهبة الأطراف ذات فرش أبيض غامق. ثم استأذن ليغيّر ملابس نومه.

تعلم شذى جيدًا أن أدهم شخص مختلف. وبالتالي سيكون منزله مختلفًا. ولكنها لم تتوقع أن يصل الاختلاف إلى هذه الدرجة. كانت شقته بالدور الأرضي في بناية قديمة لا يتعدى طولها ثلاثة أدوار. والمثير في الموضوع أن الشقة شِبه فارغة من الأثاث. صالون واسع لا يوجد بداخله غير الأريكة التي تجلس عليها وكرسي عريض أحمر اللون من نوع "Lazy Chair" الذي يمكن قلبه ليصبح قريبًا من السرير. ومكتبة متوسطة الحجم مليئة بالكتب. والكثير من اللوحات التي تملأ كل مكان في الحائط.

وضعت الكيس الذي تحمله على الأريكة وذهبت لتفقد المكتبة. من جميع الكتب والروايات الموجودة لم تتعرف غير على نجيب محفوظ وأربعة من روايات ألكساندر ديماس الشهيرة: "الكونت دي مونت كريستو" و"الفرسان الثلاثة" و"الرجل ذو القناع الحديدي" و"بعد

عشرين عامًا". وجدت روايات أخرى لجورج أورويل وهاروكي موراكامي وميلان كونديرا وستيج لارسن وتولستوي ودستويفسكي، بجانب الروايات وجدت كتب تفسير للقرآن والإنجيل والتوراة، مكتبة مثيرة للاهتمام تحرك فضولك لمعرفة محتوى هذه الكتب والروايات التي تبدو جميع أغلفتها مزيجًا من الحزن والكآبة والآمال المفقودة.

تركت المكتبة وحطت عينها على اللوحات، جميعها حملت طابع من يريد الانتحار ويبحث عن حافز، وكعاشقة للفن كانت قد رأت جميع اللوحات من قبل ولكنها لم تتصور أن يقوم بتعليقها شخص ما. هذه لوحة زيتية للشيطان وهو يفترس ولده لجويا، لوحة من العصور الوسطى تصوّر كائنًا شيطاني الشكل يُعرَف بالجاثوم يجلس فوق امرأة نائمة ترتدي ثوبًا أبيض لهنري فوسلي، جندي يقتل مزارع عن طريق السكين في بداية المدفع لروبرت مينور، لوحة لكهف قديم بداخله جمجمة حيوانٍ ما بجانبها سحليتان.. ويتوسطهم مزهرية تحتوي على وردة حمراء، وجه مهرج يحتل لوحة كاملة.. يبدو الوجه حزينًا بائسًا وعلى وشك البكاء، قطع أفكارها صوت دخول أدهم وجلوسه على الأريكة، همَّ بالحديث ولكنها سبقته:

- لماذا؟

- لماذا ايه؟

- لماذا تريد الانتحار.. لماذا جميع هذه اللوحات التي تبث اليأس من حولها.. لماذا تبحث عن الاكتئاب بتعليقك هذه اللوحات؟

- الإجابة بسيطة.. لأنه عالم سيء، هذا كل ما في الأمر، وأريد أن أذكِّر نفسي جيدًا بمدى سوء هذا العالم لكيلا أنسى أو أتناسى هذه الحقيقة.

- العالم ليس بهذا السوء. حتى ولو كان بهذا السوء فلماذا تريد التذكر؟

- العالم أسوأ مما تشاهدين في أكثر كوابيسك ظلامًا. أما لماذا أريد التذكر، فلأنني إذا كنت قد وُلدت لأسرة فقيرة في أفريقيا ولا أعلم هل سأموت جوعًا أو عطشًا غدًا أم لا.. سأفضل أن يعلم العالم بمعاناتي ولا يدفن رأسه في التراب كالنعامة.

أفحمتها إجابته، وشعرت أن اليوم المفرح الذي خططت في تمضيته مع حبيبها قد فسد.

- ماذا تشربين؟ وما سبب قدومك بالمناسبة؟

تغيرت تعابير وجهه في ثانية من الجدية إلى المرح وهو يسألها، وكأن مشاعره تخضع لجهاز تحكم يسيطر عليه بالكامل، غالبًا أحد أسباب حبها له القوية، فمن يتحكم بمشاعره لا يمكن أن يؤذي الآخرين، ودائمًا ما سيشعر بما يجب عليه عمله تجاههم. بابتسامة فتاة مدللة أجابت:

- أردت تناول الإفطار معك، وأردت إعداده بنفسي لك، مممممم، وكان الفضول يقتلني لأرى منزلك وكيف تأقلمت مع العيش وحيدًا.

بابتسامة خبيثة قال:

- وما رأيك في قصري المتواضع.

- أين الأثاث. لا يوجد غير أريكة وكرسي واحد في صالون كبير عريض. وهذه اللوحات لا يمكن أن يضعها شخص بكامل قواه العقلية. الشيء الوحيد الطبيعي هنا هو المكتبة.. رغم أن جميع الكتب والروايات كئيبة إلا أنها أثارت فضولي لمعرفة محتواها.

- تركت من الأثاث ما أحتاج إليه فقط. لم أخطط أن أستقبل أحدًا في المنزل. أما هذه اللوحات فهي التي اختارتني ولم أخترها. أنتِ فنانة وتعرفين هذا الشعور. عندما تنظر إلى شيء ما وتشعر أنك تريده بشدة وسعادتك متوقفة على اقتنائه.

- أعلم تمامًا ما تقصده. ولكن اختيارنا لهذه الأشياء يعكس ميولنا الداخلية وما نشعر به بداخل عقلنا الباطن. واضح أن لديك الكثير من العُقَد وراء هذا الوجه الجميل.

- كفاكِ فلسفة. قلتِ شيئًا عن إفطار منذ قليل. أم أنه ذريعة لرؤية منزلي.

- هو ذريعة لرؤية المنزل. ولكن لا يوجد ما يمنع أن أقوم بإعداده على أي حال فقد جئت بمستلزماته معي.

ذهبَتْ إلى الأريكة. حملت كيس السوبر ماركت وسألته عن مكان المطبخ. أرشدها إلى الداخل ودخل خلفها. أخرجت من الكيس أربع بيضات وزُبد ومربى وخبز توست وثلاثة أنواع من الفلفل أحمر وأصفر وأخضر.

- بالتأكيد لديك قهوة؟ العزاب يمكنهم الاستغناء عن الطعام ولكن لا يمكنهم الاستغناء عن القهوة. هل سأجد مقلاة في مكان ما هنا.

من أحد الأدراج أخرج مقلاة تبدو قديمة ولكنها نظيفة. وضعتها على النار وفوقها القليل من الزبُد. انتظرت إلى أن ذاب الزبد وكسرت البيضات وسكبتهم عليه. أخذت سكينًا وبدأت في تقطيع الفلفل قِطعًا صغيرة ثم وضعتهم فوق البيضات وبدأت في تحريكهم. بضع ثوانٍ وقامت برش الملح فوقهم. إلى أن يبدأ البيض في التماسك أخرجت أربع قطع من خبز التوست ودهنت فوقهم زبدة ومربى ثم وضعتهم على النار حتى يحصلوا على الطعم المقرمش. بدأت بإعداد القهوة. وضعت الماء ليغلي وجهزت كوبين. سألت أدهم عن وجود صينية حتى تضع عليها الإفطار. دقائق وكانت الصينية ممتلئة بطبقي بيض مقلي مزين بأنواع الفلفل الأخضر والأحمر والأصفر. خبز توست مدهون بالزبد والمربى محترقة أطرافه قليلًا. وكوبي قهوة تفوح رائحة البن الطازج منهما وتعلوهما الأبخرة الساخنة.

في ظل إعدادها للإفطار كان أدهم يراقبها وهو جالس على طاولة المطبخ. في كل مرة تدير له ظهرها.. يشعر بقبضة ثلجية خشنة تعتصر قلبه وروحه.. يترك وقتها العنان لملامح وجهه أن تتغير إلى البؤس. وفور أن يسمع صوت كعبها على البلاط ويرى جزعها النحيف المتناسق يستدير نحوه يسيطر على ملامحه ويرسم ابتسامة سعادة على وجهه. هو فعلًا سعيد بوجودها ولا ينافقها. ولكن إذا غابت عنك السعادة

والشعور بالاهتمام لوقت طويل.. ستكون عودتهما إليك مشوبة ببعض الغرابة، كمن يقبع في كهف لبضعة أشهر ولا يرى النور.. سيكون في قمة سعادته وقت خروجه ونظره إلى الشمس، ولكنها ستحرق عينيه في البداية.

- أين سنجلس؟ لا أحب الجلوس في المطبخ لا أشعر أنه مكان للأكل، هو مكان لإعداد الطعام فقط، إذا أكلنا بداخله يفقد الطعام متعته وطقوسه الخاصة ويتحول إلى سد للجوع فقط، كالفرق بين التنفس للعيش والجلوس على البحر والاستمتاع برائحته العذبة.

- كفاك ثرثرة، سنجلس في الشُرفة، لا تُطلّ على حديقة كحديقة الأزهر ولكن لا بأس بها.

ذهبت خلفه وهي تحمل الصينية، فتح باب الشرفة التي تطل على حديقة صغيرة شِبه مهجورة، خلفها شارع هادىء نادرًا ما تمر سيارة منه. وجدت طاولة صغيرة وكرسيًا وحيدًا، ذهب ليحضر كرسيًا آخر في حين وضعت الأكل على الطاولة. عاد وجلس أمامها، بدأ الأكل على مهلٍ، أثنى كثيرًا على الطعام والقهوة، وأخبرها أنه لم يتذوق شيئًا ألذ من طعامها حتى في مطاعم المعادي الراقية. نعتته بالكاذب ولكنها كانت سعيدة بكلماته. قال لها إن حلم حياته أن تبدأ هي في الرسم، ويجلس هو يشاهدها، ويمتد الزمن إلى ما لا نهاية.. فلا تنتهي اللوحة التي ترسمها ولا يغادر مكانه.

- ولماذا وأنا أرسم؟ لماذا ليس ونحن على هذه الوضعية نجلس على طاولة واحدة للإفطار.

- لأنك عندما ترسمين.. أستشعر استنفارًا لجميع حواسك، وجهك وعيناك هائمان في شيء ما تشعرين به في قلبك وتريدين وضعه على اللوحة، حتى أصابعك، تمسك بالفرشاة كعاشق استطاع الإمساك بإحدى النجمات ويستعد لإهدائها لعشيقته. يفوق جمالك وقتها أفروديت وفينوس مجتمعين. (آلهة الجمال وآلهة الحب عند اليونان القدماء).

تصمت قليلًا وهي تنظر إلى عينيه.

- أود حقًا نعتك بالكاذب و"البكّاش" ولكن سأنتظر قليلًا.

في دلال أضافت:

- أنتظر قليلًا لأستمتع بهذه اللحظة ثم أتهمك بأن الرجال جميعهم خونة وبائعو كلام.

ابتسم ووضع يده فوق كفها. تابعت بصوت خفيض:

- إذا أخبرتك أن حلمي هو العيش معك في كوخ خشبي على البحر، لا نأكل إلا من السمك الذي نصطاده ونشويه، تمضي يومك في القراءة وأمضي يومي في الرسم. وحين يأتي المساء أنتظرك على الرمال الناعمة، ولا أرتدي غير عطرك المفضل. وتكون ممارستنا للحب تحت ضوء النجوم.. سرمدية كأنها بلا نهاية.

هل ستصدقني؟

لا يعلم بالتحديد السبب الرئيسي لهذا العشق الذي ضرب بجذوره عميقًا بداخل روحه.. فأصبحت شذى نوعًا من السعادة لم يكن يعلم أنه خُلِقَ على هذه الأرض. هل بسبب ماضيه المظلم أصبح يرى أي نقطة نور كأنها شمس مشعة؟ أم أن شذى هي توأم روحه وهذا هو رد فعله الطبيعي تجاهها؟ أم كلاهما معًا؟

بالنسبة إلى شذى لم يكن الأمر معقدًا كثيرًا. فالفتيات عندما يقعن في الحب لا يفكرن كثيرًا كالرجال، خصوصًا إذا شعرن بالأمان للرجل الذي أعطينه قلبهن، يبدأن في نسج تفاصيل قصة حبهن المستقبلية بحرفية شديدة ومخيلة واسعة. شوكتها الوحيدة كانت عدم معرفتها شيء عن ماضيه. لذلك قررت البدء في استدراجه والبحث خلفه لتعرف أي شيء. عندما أنهيا الطعام، تجولت في جميع أنحاء منزله. جميع الغرف فارغة ما عدا غرفته التي تحتوي على سرير قديم وخزانة ملابس خشبية، حمّام واحد ومطبخ سبق أن دخلته. الأمر الوحيد الذي لفت نظرها هو غرفة مغلقة. سألته أن يفتحها، ولكنه أجاب أن هذه الغرفة تتبع كل الأمور السيئة.. وقد سبق أن أخبرها بعدم رغبته في الحديث عنها.

أدهم

بعد الثامنة صباحًا، أنهى أدهم قراءة رواية "كافكا على الشاطئ" لهاروكي موراكامي، تركته الرواية خائر القوى من كثرة المشاعر التي انتابته أثناء القراءة، وأخذ يفكر في قصة الحب المذكورة في الرواية.. هذه القصة المستحيلة حرفيًا، مراهق واقع في غرام امرأة في الخمسين من عمرها عندما كانت في مثل سنه، يزوره شبحها وهي مراهقة كل ليلة، وهذه المرأة الخمسينية ما زالت واقعة في غرام حبيبها الأول الذي فارق الحياة منذ ثلاثين عامًا، ترى في المراهق صورة حبيبها الأول، قصة حب معقدة تعطي معاني وأنواع جديدة للحب. ثم أخذ يتساءل، ما مدى استحالة علاقته بشذى، يعلم أن حبه لها مطبوع على روحه وكأنه أمر وُلِدَ به، ولكن ما يفعله هذه الأيام لن ينتهي على خير وسيفرِّق بينهما لا محالة، ما ذنبها أن أحبت شخصًا مثله، بدأ يشعر بالاكتئاب من كثرة التفكير فقام بتغيير ملابسه وارتدى زي الرياضة، ذهب إلى المطبخ وأكل تفاحة حمراء، ثم غادر المنزل ليقوم بالركض بعض الوقت عل ذهنه يصفو قليلًا.

عندما عاد إلى المنزل شعر بتحسُّن، استحم وغير ملابسه، أمسك هاتفه وبعث برسالة إلى شذى تقول "ضوؤك يسطع على روحي في ظِل احتراق ألف ألف شمعة".

رن جرس الباب، فتح ووجد البواب قد ترك له جرائد اليوم، وضعهم على طاولة الشرفة وذهب ليعد كوب القهوة، بعد خمس دقائق أمسك الكوب الساخن وذهب إلى الشرفة، في ظل تراقص الدخان أعلى الكوب في يده اليسرى أمسك الجريدة الأولى.. وأصابته الصاعقة، فعنوان الصفحة الأولى كان يتحدث عن القاتل المتسلسل وقيامه بقتل الضحية الثالثة بعد الضابط والمحامي، مستشار معروف بنزاهته الشديدة.

العقيد حاتم

استيقظ حاتم على صوت زوجته التي تطلب منه خمسمائة جنيه ضروري والآن، بصوت ناعس أجابها أن تأخذ من حافظته على المكتب عادت بعد خمس دقائق فسألها عن سبب احتياجها للنقود. أخبرته أنه قسط "الموبايل" الجديد. لا يعلم متى ابتاعت "موبايل" جديدًا ولا يهتم، منذ زمن أصبح يقتطع جزءًا صغيرًا من راتبه لا يتعدى الألفين جنيه ويعطي الباقي لزوجته. وإذا سألها أين تنفقه تجيب بقائمة عريضة تتضمن دروس الأولاد ومصاريف المدارس وملابسهم وأكلهم وشربهم والمواصلات للنادي ودروس السباحة واحتياجاتها الخاصة وأكله وشربه هو شخصيًا، هذا غير فواتير الموبايل والكهرباء والمياه والغاز والإنترنت. وفي النهاية دائمًا تتذكر أن المبلغ لا يكفي وتضطر أن تستدين من والدتها ويصبح منظرها أمام أسرتها بالغ السوء. لهذا توقف عن السؤال وظل يعطيها راتبه في صمت آملًا في العثور على راحة نفسية غير موجودة.

لو عاد به الزمن إلى فترة ما قبل الزواج لما فكر ولو لدقيقة واحدة بإعادة هذه التجربة، خصوصًا الإذعان لرغبتها الحمقاء في الحمل والولادة بعد الشهر الأول، وعدم التوقف غير بعد الولد الثالث.

ارتدى ملابسه على عجل وذهب إلى المكتب وآثار اليأس بادية على وجهه. فالبارحة تم إعلامه بمقتل المستشار «عيسى محمد العياط» على يد القاتل المتسلسل، الضحية الثالثة التي تلقى حتفها بنفس الطريقة.. خنقًا وقد كتبت جملة تعطي الطابع الديني أعلى الجثة. لا يعلم أيهما أسوأ، أن هذا القاضي كان أحد القضاة النادرين الذين لا يقاضون أي رشاوى ونزاهته حديث الكثير من الناس، أم أنه صديق شخصي له تعامل معه أكثر من مرة وتبادلت أسرهم الزيارات المنزلية، أم أنه لم يجد أي علاقة تربطه بالضحيتين السابقتين الضابط والمحامي.. مما يضحد نظريته بأن دافع القاتل هو الانتقام. ثلاثة أسباب كل منها أسود من الآخر، حقًا لا يعلم ما هي الخطوة التالية، أمر مساعده أن ينقب في جميع أوراق ومعارف وسجلات القتيل لاكتشاف أي خيط يربطه بالضحيتين السابقتين، وطلب من صبي المشروبات أن يحضر له قهوة ثقيلة في كوب كبير وليس فنجان، سيشربها قبل الذهاب لتعزية أسرة القتيل لعل ذهنه يصفو قليلًا، من أكثر المشاوير التي حمل همها في حياته.

ارتشف القهوة الساخنة بتمهُّل مبالغ فيه، وكأنه يؤخر وقت الزيارة على قدر المستطاع. ومع الرشفة الأخيرة.. تناول ميدالية مفاتيحه وحافظته من على المكتب وذهب إلى السيارة ليتجه إلى بيت المستشار عيسى محمد العياط ليقدم واجب العزاء.

بعد رنين الجرس بدقيقة فتحت زوجة المستشار الراحل الباب،
أفسحت له مكانًا ليدخل، قال لها البقاء لله واختنق صوته فلم يخبرها
عن مدى حبه لزوجها الراحل وتأكُده من حسن آخرته كما اعتزم،
أجلسته في الصالون ونادت على ابنتها سلمى لتقدم له شيئًا يشربه،
تبادل مع الأرملة كلمات العزاء وحاول التخفيف عنها، وبعد بضع
دقائق جاءت سلمى وهي تحمل صينية عليها كوبًا من الشاي، وضعتها
أمام حاتم وجلست بجانب والدتها. ارتشف حاتم الشاي في سرعة ولم
ينتظر أن يبرد، بعدما أنهاه وقبل أن يستأذن بالانصراف سألته سلمى:

- أونكل حاتم من قتل والدي؟

إحدى اللحظات التي تمنى الهرب منها ولكن لا مفر.

- لا نعلم حتى الآن، لكننا نعمل ليل نهار دون توقف حتى نعثر على
القاتل

قالت في أسى:

- لقد قتل اثنين قبل والدي ولم تستطيعوا العثور عليه، كيف
ستعثرون عليه الآن.

- إنها بضعة.. أشياء.. دليل.. كافي..

كان ينطق بكلمات غير مفهومة وتهدج صوته قليلًا، سكت بضع ثواني
استجمع خلالها شجاعته ثم قال:

- تعلمين يا صغيرتي مقدار حبي وصداقتي لوالدك الراحل، ورغبتي
أكثر من أي شخص آخر في العثور على الجاني خصوصًا أنني المسئول

من هذه القضية. لا أستطيع أن أقسم إنني سأعثر على القاتل، ولكنني أستطيع القسم بجعل هذه القضية هدفي في هذه الحياة البائسة.

- هل تعلم يا أنكل لماذا أريد بشدة أن يتم القبض على القاتل؟ ليس لضغينة أحملها ضده، ولكن لأن ألمي بفقدان والدي كان فوق الوصف وأشك أنني سأعود طبيعية يومًا ما، لذلك لا أريد أن يمر أي شخص آخر بهذه التجربة التي تقطع الأوصال من الداخل.

أنهت كلامها ودفنت وجهها الصغير في حضن أمها وهي تبكي بصمت.

في طريق عودة حاتم إلى المكتب كان يشعر بالحزن وانعدام الحيلة يعتصر قلبه وكيانه، أراد أن يبكي صديقه ولكنه أحس أنه غير أهل لشعور الراحة التي تتبع البكاء، أصبح يكره عمله ونظرة أسر الضحايا الذين ينظرون إليه كأنه شيرلوك هولمز وعثوره على القاتل مسألة وقت ليس إلا. أمسك هاتفه وطلب ناديا، طلب منها ملاقاته والجلوس معه قليلًا قبل ذهابه إلى المكتب، شعرت بأن صوته على غير ما يرام فذهبت مسرعة لملاقاته واستأذنت من رئيسها في الجريدة.

أدهم

من شدة غيظ أدهم كاد ألا يذهب لتناول الإفطار مع ماري العجوز
الأحد صباحًا كما اعتاد، ولكن بعد التفكير لم يرد أن يقطع الشيء
الوحيد الصحيح وغير المعقد في حياته. بالنسبة له هما ساعتان
أسبوعيًا. بالنسبة للعجوز هما الوقت الوحيد الذي تنفصل فيه عن
وحدتها الباردة.

طرق بابها وانتظر، فتحت له والبسمة مرتسمة على تجاعيد وجهها
العميقة. أفسحت له مجالًا للدخول فذهب مباشرة إلى طاولة السفرة
وبدأ بإخراج الإفطار من الأكياس التي يحملها. تحدثا قليلًا عن
المواضيع المعتادة فسألها عن أحوالها وإذا كانت في حاجة لأي شيء،
أجابته أن الدنيا ما زالت بخير وربك لا يترك أحدًا.

- ولكنك لست بخير.

فاجأته عبارتها، فقد حاول جاهدًا أن يبدو سعيدًا أو غير مكتئب ولكنها
استطاعت النظر بداخله كما تفعل الأم، ومن ناحية أخرى شعر لأول
مرة أنهما يتحدثان في شيء جديد غير أحاديثهما العامة.

- مجرد بعض الإجهاد، نمت متأخرًا البارحة. القليل من النوم بعد
الظهر وأستعيد نشاطي.

- ليس إجهادًا، الإجهاد يظهر في الملامح والحزن يظهر في العينين، وهناك تصرخان طلبًا للمساعدة.

- لا تشغلي بالك يا أمي، المشاكل جزء من الحياة.

- المشاكل جزء لا يتجزأ من الحياة يجب التأقلم معها، ولكن عندما يغزوك الحزن بهذه الطريقة ويصير باديًا عليك.. إذن أصبحت غير متأقلم. أنت تعلم جيدًا اللكمات التي تلقيتها خلال حياتي صح؟ ومع ذلك تراني على قيد الحياة أبتسم من دون ضغينة، الزمن يمر كعجلات سيارة مسرعة تعرف وجهتها ولن يوقفها شيء، من يقف أمامها ستقوم بدهسه دون تفكير وسيكون هو الخاسر. أحيانًا عليك أن تقف مكانك حتى لو كانت الإشارة خضراء.

يصعب عليه التفكير في فلسفة الحياة خصوصًا هذه الأيام، لم يدرِ ما عليه قوله فذهب وقبّلها أعلى رأسها، ثم بدأ ينظف الطاولة. أنهى مسح المنزل وجميع الغرف وأعاد كل شيء مكانه. وهو يودع العجوز على الباب قالت له أن يعتني بنفسه. وأن الحزن مهما كبر أو صغر لن يحل شيئًا.

وهو في طريقه إلى المنزل ظل يفكر أن الحزن لن يحل شيئًا.. ولكنه يعطينا دافعًا أن نبحث عن حل حتى يزول هذا الحزن، إذا لم تسبب لنا المصائب قدرًا كبيرًا من الألم لن يصبح بحثنا عن الخلاص بنفس الغالي المتألم.

عندما عاد إلى المنزل بدأ بتغيير ملابسه، ثم ذهب إلى المطبخ ووضع المياه على النار لعمل قهوة، بعد أن غلت المياه قرر أنه يريد شُرب شيء بارد، فتح الثلاجة فوجد زجاجة فيروز أناناس، أخذها وتوجه إلى غرفته.

جلس على سريره ووضع أمامه جميع الأوراق والصور والتقرير الذي أحضره له عينه أو مرشده داخل سلك الشرطة، جميع البيانات المتعلقة بمقتل المستشار عيسى محمد العياط التي تم جمعها للتحقيق في مقتله. عندما قرأ خبر مقتل الضحية الثالثة على يد القاتل المتسلسل شعر بالغضب يعصف به من الداخل، كيف ينسبون إليه هذه الجريمة، يعلم أن الشرطة تبذل قصارى جهدها للعثور على الجاني ولكنه يريد العمل بنفسه في البحث عنه، خصوصًا أن الشرطة ستصبح مشتتة بين قاتلين تظنهما قاتلًا واحدًا، مما يقلص فرصها في الكشف عن أي شيء.

تم قتل المستشار في منزله بغرفة نومه يوم السبت في العاشرة صباحًا تقريبًا، اعتاد أن يستيقظ يوم إجازته متأخرًا بعد ليلة من السهر مع رفاقه في أحد المقاهي يلعبون الشطرنج، يسكن معه في المنزل زوجته وولداه المراهقان، تقع شقته في الدور السادس مما يستبعد أن يقوم أحد بالدخول من النافذة، اعتاد أن يدخل إلى منزله البواب محمد عبده وزوجته اللذان يعملان في البناية منذ عشرة أعوام، وأوقاتًا نادرة يصعد سائقه الخاص لتسليمه بعض الأوراق، قامت الشرطة

باستجوابهم ولم يتم الوصول لشيء، وقالت زوجة القتيل إنه طوال يوم الجمعة والسبت صباحًا لم يدخل أي شخص إلى المنزل بغيرها والولدين، فأصبحت القضية وكأن القاتل شبح، يوجد جثة ماتت خنقًا داخل غرفة مغلقة وبالتأكيد لا يوجد أي بصمات.. وتم كتابة إحدى الجمل الدينية على الحائط لإلصاق التهمة بالقاتل المتسلسل.

رن هاتفه المحمول فنظر إلى الشاشة، وجد اسم شذى الجميل يرتسم في خانة المتصل، تردد لحظة ثم ضغط على زر Silent ليتوقف الهاتف عن الرنين. إنها المرة الأولى التي يتهرب من الحديث مع شذى، ولكن إحباطه الشديد لن يسبب لها غير الحزن.

كان يشعر بالعجز، رشف آخر ما تبقى في زجاجة الفيروز، ثم أمسك هاتفه واتصل بالعين التي أمدته بالمعلومات من داخل سلك الشرطة، واتفقا على زيارة منزل زوجة القتيل والتحدث معها لعلهما يضعان أيديهما على شيء جديدٍ يساعدهما في التحقيق.

شذى

عندما تزورنا المشاكل مع الحبيب نبدأ في استرجاع ذكرياتنا معه لتدفئ لحظات الخصام. المرة الأخيرة التي رأت فيها أدهم كانت في زيارة لمرسم صديقتها هدير. تقابلا في السابعة مساءً في الكافيه المعتاد. تناولا عشاءً خفيفًا من توست الجبنة الشيدر، ثم ذهبا إلى مرسم هدير لتساعدها شذى في اختيار أفضل لوحة لديها للمشاركة في إحدى المسابقات الفنية.

من وسط خمس لوحات اختارت شذى لصديقتها أن تشارك بلوحة تصوِّر ميدان التحرير وهو يبدو ممتلئًا عن آخره من الوهلة الأولى. ولكن إذا دققت النظر ستجد أن كل مجموعة في الميدان أخذت ركنًا وهي تستمع إلى من يخطب فيها، لا يقل عدد هذه الجماعات عن عشرة أو اثنتي عشرة مجموعة. أعجبت شذى بالصورة وشعرت أن فرصة هذه اللوحة في جذب الأنظار كبيرة لتصويرها واقعًا نعيشه بطريقة غير مباشرة. اتفق معها أدهم وهدير في اختيارها، ثم استأذنتهما هدير عندما رن هاتفها برقم صديقها.

- لن تعود قبل ساعة صديقتي وأعرفها.

كانت هذه شذى معلقة على انصراف هدير. قال أدهم:

- لقد اخترنا لها اللوحة بإمكاننا الانصراف الآن.

- لا نستطيع الانصراف قبل توديعها.

ثم نظرت إليه في خبث:

- وخلال هذا الوقت، يمكنني التدرب قليلًا، سأقوم برسمك.

بعد ممانعة خفيفة من أدهم انصاع للأمر وجلس متكئًا كما طلبت منه، أخبرها أنه وافق فقط ليشاهدها وهي ترسم.

بعد مرور نصف ساعة أخبرته أن يغمض عينيه، وعندما فتحهما وجد لوحته، كانت اللوحة تشبهه كثيرًا ويمكن لأي شخص أن يعرف أنها لوحته دون تركيز، شعره الهائش، قميصه ذو الخطوط العريضة، ملامح وجهه الرفيع، حتى العرق الذي يبرز أحيانًا في جانب وجهه قامت برسمه، الشيء الوحيد الذي تركته فارغًا.. كان عينيه، تركت مكانهما تجويفًا أسود.

- أقل ما يمكن أن يقال أنها رائعة، لقد قمتِ بنسخ صورة مني على اللوحة. الشيء الوحيد الذي لا يشبهني قليلًا هو العينان. ربما إذا فقدتهما في يوم ما ستصبح اللوحة نسخة مني في كل شيء.

- بعيد الشر عنك. سأحتفظ بهذه اللوحة، وعندما تصبح رجلًا ذا ماضٍ بالنسبة إليَّ سأقوم برسم العينين في اللوحة.

كانت تلك المرة الأخيرة التي تراه فيها، بعدها ولمدة أسبوع الآن أصبح يتملص من جميع مواعيدهم، ولا يرد على الكثير من تليفوناتها إلا عن طريق رسائل يعتذر فيها عن انشغاله هذه الأيام، تشعر أن هناك شيئًا

وتتمنى أن يشاركها همومه فقد أقسمت من قبل أن تتحمله مهما حدث.

وكأن والدتها تشعر أنها على غير وفاق مع حبيبها.. فأصبحت تتقمص دور خاطبة من القرن الماضي وتلح عليها لمقابلة عرسان محتملين. وعندما تبدأ شذى في فقدان أعصابها تبدأ الأم بتذكيرها بمقدار المعاناة والتضحية التي تكبدتها لتنشئتها وأختها وهي أم وحيدة.. وكل ما تريده هو أن تطمئن عليها في كنف رجل أمين. وقتها تشعر شذى بالذنب وتلين نبرتها في اعتذار غير مباشر. أختها تحب زميلها في الجامعة الأخرق وتريد من شذى مساعدتها في اختيار هدية خرقاء تناسبه. في كل مرة تحاول الجلوس والرسم تشعر أن الفرشاة ثقيلة في يدها ولا تتحرك بسهولة. هذا أسوأ ما في الحب. عندما يأتي يجلب معه جنة أرضية نعيش فيها. وعندما يذهب يأخذ معه جميع الطرق المؤدية للفرح.

العقيد حاتم

عندما دخل إلى مكتبه قرر أن يمضي بعض الوقت في القراءة عن القتلة المتسلسلين أو القتلة عمومًا، لعله يجد أي معلومة تساعده في العثور على قاتل الضحايا الثلاث. فتح جهاز الكمبيوتر وطلب من صبي المشروبات شايًا ثقيلًا. وجد الكثير من المواقع التي تتحدث عن هذا الموضوع.. فانتقى منها خمسة مواقع شعر أنها احترافية.

"شهوة القتل لا تقل عن شهوة المال أو السلطة، وأتكلم هنا عن القتل المجرّد من المنفعة الشخصية. فقط عندما يكون الهدف الوحيد هو الانتشاء وإرضاء الجزء الأسود بداخل كلٍ منا الذي يتوق إلى الشعور بالأفضلية على الجميع مهما كان الثمن. في حين يهبنا المال الترف والقدرة على إجبار الآخرين في العمل على خدمتنا، وتهبنا السلطة الأمان ولذة رؤية الخوف والخنوع في أعين الناس، يهبنا القتل المقدرة على العبث في الأقدار. يمكنك أن تنهي آمال وأحلام وخطط ومستقبل وروتين شخص ما، هذا غير العبث بحياة كل من سيتأثرون بموته سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كالأسرة والعائلة والأصدقاء وزملاء العمل وحتى صاحب البقالة التي يتعامل معه القتيل. هذا غير من سيتأثر من دون علمه كمن سيحل محله في العمل".

"القاتل المتسلسل، هذا النوع من القتلة لا يستيقظ من نومه فجأة وتنتابه رغبة مجنونة في قتل بضعة أشخاص، دافعه للقتل ليس الجشع أو الغيرة أو الانتقام، أحيانًا يكون السبب هو انفصام عن الواقع فيشعر أنه مكلف من الله بالتخلص من أشخاص بعينهم، وليس شرطًا أن يكونوا سيئين أو خطائين، أحيانًا أخرى يكون مريضًا نفسيًا ويقتل للشعور بنشوة الاهتمام الإعلامي بما يفعله.. فلا يشعر أنه مجرد نكرة تعيش لتأكل وتشرب، لهذا زاد عدد القتلة المتسلسلين في السنوات الثلاثين الأخيرة بطريقة ملحوظة بسبب الانفتاح الإعلامي الذي أصبح عليه العالم.

أول من استخدم مصطلح القاتل المتسلسل هو المدير السابق لبرنامج "إدراك الجرائم العنيفة" في الـ" FBI" روبرت رسلر في سبعينات القرن الماضي، اختار كلمة متسلسل لأن الشرطة البريطانية اعتادت أن تطلق على هذا النوع من الجرائم "جرائم في سلسلة"، وقبل أن يطلق رسلر هذا الاسم كانت هذه الجرائم تُسمَى "القتل بالكتلة" أو "جريمة الغريب لغريب". يعرف القاتل المتسلسل في ال FBI بالشخص الذي يقتل ثلاثة ضحايا أو أكثر.. مع فترة راحة بين كل جريمة وأخرى، عادة يعمل القتلة المتسلسلين وحدهم، يقتلون الغرباء، وهدفهم الوحيد هو القتل فقط لأجل القتل من دون الحصول على أي منفعة شخصية من القتيل.

نسبة إلى أحد دراسات الـ "FBI" حول القتلة المتسلسلين.. فقد كان متوسط عددهم في القرن الماضي أربعمائة قاتل في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، وعدد ضحاياهم تراوح من ٢٥٢٦ إلى ٣٨٦٠، مع العلم بأن معرفة رقم القتلة المتسلسلين في الوقت الحالي شبه مستحيل.. ولكن بعض الخبراء توقعوا أن يتراوح عددهم من ٥٠ إلى ٣٠٠ بالولايات المتحدة الأمريكية وحدها وقت كتابة هذه السطور. جدير بالذكر أن عدد القتلة المتسلسلين قد تزايد بشكل ملحوظ في الثلاثين عامًا الأخيرة كما ذكرنا سابقًا بسبب الانفتاح الإعلامي، ثمانين بالمائة من الأربعمائة قاتل في القرن الماضي ظهروا بعد العام ١٩٥٠".

"لدى التعامل مع أي قاتل لدينا الكثير من الدوافع المتوقعة، هناك جرائم الحب والانتقام والسرقة والميراث والتخلص من الأزواج والغضب وسوء المعاملة والخطأ، هؤلاء يقتلون من أجل منفعة شخصية مباشرة. أما عندما يكونون ضحايا غرباء عن القاتل ولا تمسه منفعة شخصية من وراء موتهم.. فهناك دوافع أخرى تحركه تنقسم إلى أربع فئات.

الفئة الأولى هي القاتل الحالم، يعاني هذا القاتل من انفصامات ذهانية مع الواقع، في بعض الأوقات يعتقد بأنه شخص آخر، وأوقات أخرى يشعر ويُهيَأ له أنه تم تكليفه بقتل أشخاص بعينهم من قِبَل جهة عليا، أكثر الجهات المألوفة لدى هذا النوع من القتلة هي الله أو الشيطان.

الفئة الثانية هو القاتل صاحب المهمة. يفسر هذا القاتل أفعاله على أنها "غربلة العالم". بحسب معتقداتهم فهم يخلِّصون العالم من أشخاص غير مرغوب فيهم، كفتيات الليل أو المثليين جنسيًا أو المنتمين لعرق أو جنس معين أو التابعين لدين معين. وهذا النوع من القتلة لا يعاني من أي مرض نفسي أو عقلي، ينظرون إلى أنفسهم على أنهم سيغيرون من طبيعة المجتمع البشري ويقومون بشفاء المجتمع.

الفئة الثالثة هو الباحث عن القوة والتحكم، هدف هذا النوع هو استمداد الشعور بالقوة على حساب الضحية. في أغلب الأوقات يكون القتلة قد تعرضوا للتحرش الجنسي والضرب في نشأتهم، فأصبحوا بالغين يشعرون بالعجز والنقصان والضعف وانعدام الثقة بالنفس، ويرون في القتل وسيلة لاستعادة قوتهم.

الفئة الأخيرة هو القتل لأجل المتعة، يرى فيها القاتل الناس كأحد الوسائل المستخدمة في تحقيق متعته الشخصية. وقد قام علماء النفس الشرعي بتقسيم هذا النوع من القتلة إلى ثلاثة أنواع فرعية: "قتل الشهوة" و"قتل الإثارة" و"قتل الراحة". القاتل من أجل الشهوة يحركه خياله ومدى التعذيب والخوف الذي تصل إليه الضحية قبل اغتصابها ثم قتلها، ومعظم الضحايا يكونون من النساء. أما القاتل من أجل الإثارة فهدفه هو التخطيط للجريمة والشعور بالأدرينالين يملأ عروقه أثناء التنفيذ. القتل من أجل الراحة هم القتلة المأجورين أو القتل للكسب المادي سواء للحصول على نقود أو ميراث أو تأمين،

معظم القتلة المتسلسلين من النساء هم من هذا النوع، والطرق المستخدمة في القتل خالية من التعذيب كالسم".

أغلق حاتم صفحة الإنترنت ولم يستطع القراءة أكثر من هذا، فجميع هذه المعلومات والنظريات تأتي إلى مصر وتصطدم بالواقع، وتجد أسبابًا للقتل لم يكن كتاب هذه المقالات ليتخيلوا وجودها، كالقتل من أجل الحقد الطبقي مثلًا أو قتل العاملين بأجهزة الدولة السيادية الشرطة والقضاء بسبب جعل حياة المواطنين جحيمًا. صرخ بصوتٍ عالٍ مناديًا على صبي المشروبات لتأخر الشاي لعله يفرغ بعض غضبه. دخل عليه فتحي أمين الشرطة، بدا مترددًا، قال بصوته الأجش بطريقة طفولية:

- سعادة الباشا، ولدي نُقِلَ إلى المستشفى منذ ساعة، هاتفتني زوجتي وأخبرتني أنهم طلبوا منها مائتين جنيه.

نظر حاتم إليه مستغربًا:

- ولماذا لم تنقله إلى إحدى مستشفيات الشرطة؟

- السكر.. لديه السكر كما تعلم.. فقد وعيه ولم تدرِ زوجتي ما العمل فنقلته إلى أقرب مستشفى.

بصوت ملأه الغيظ:

- إذا كانت زوجتك بهذا الغباء فعليك تحمُّل النتيجة، اخرج واقفل الباب وراءك.

- ولكن.. حاتم باشا.. لم يسبق لك أن رفضت مساعدتي من قبل.

- كنت أحمق، الآن استنارت بصيرتي.

بخطوات متلعثمة خرج فتحي من المكتب وأغلق الباب خلفه، فوجئ بعصبية حاتم، حتى أنه كاد يقع في طريق خروجه. وكعادة حاتم، بعد أن خرج فتحي بعشر دقائق شعر بضميره يقبض على تلابيب أنفاسه لمعاملته فتحي بهذه الطريقة، ندم وزاد حزنه وقرر أن يذهب إليه آخر اليوم يراضيه ويعطيه ما طلب.

قبل ميعاد الانصراف بساعة، رن هاتفه وكان المتصل فاتنته الصحافية ناديا.

- أعلم أنك مكتئب هذه الأيام، لذا قررت التخفيف عنك ودعوتك على العشاء.

لم يتردد هذه المرة كما اعتاد، فورًا سألها عن المكان، دون عنوان المطعم وأخبرها أنه سيصل بعد ربع ساعة. في طريق خروجه لمح عساكره سالم وإبراهيم يبدو عليهما التوتر، كاد أن يذهب ويسألهما ولكن لم يرِد أن يتأخر على ناديا. ركب سيارته وانطلق ذاهبًا إلى المطعم الكلاسيكي الذي يقبع في أحد الشوارع الهادئة ولا يرتاده غير زبائنه القدامى. بعدما ابتعد عن المكتب تذكر أنه لم يذهب لرؤية فتحي ومصالحته، شعر بالقليل من تأنيب الضمير ولكن تفكيره في ناديا أنساه الأمر.

قبل الوصول إلى المطعم بعدة شوارع وجد محل "Naga Homme" لبيع الملابس الرجالي، بعفوية أوقف السيارة وذهب لتفقده. بعد وقو

ميليه على بضعة قمصان اختار قميصًا أنيقًا أسود اللون، حتى بعدما

علم سعره المرتفع نسبةً إلى مرتبه الضئيل اشتراه. قام بارتدائه في

المحل ووضع قميصه القديم في الكيس. حاول إقناع نفسه أنه يحتاج

إل قميص جديد و الأمر ليس له علاقة بلقائه بناديا ولكن الكذبة

كانت أكبر من أن يصدقها.

دخل إلى المطعم فوجد ناديا قد سبقته كعادتها، تجلس على طاولة في

منتصف المطعم. يعتبر المطعم قديمًا نسبيًا، حوائطه من الخشب،

تملأ جدرانه لوحات زيتية لرجال ونساء يرقصون التانجو، طاولاته

وكراسيه من نفس نوع الخشب على الحائط وقد تم وضع مخدة

زيتية اللون على مقعدة الكرسي وظهره. سحب الكرسي وجلس أمام

ناديا مبتسمًا.

- هل هذا القميص جديد؟

- لا، أمتلكه منذ بضعة سنوات.

- يبدو جديدًا.

- هو مغسول ومكوي فقط.

جاء النادل في هذه اللحظة ليأخذ طلباتهما، طلبت ناديا إسكالوب

بانيه مع سوتيه، وطلب حاتم مثلها إسكالوب لكن مع أرز أبيض

وبطاطس محمرة.

- منذ مدة كبيرة لم أرك بهذا الإجهاد. لقد عملت على عشرات القضايا.. لماذا تعطي هذه القضية اهتمامًا غير مسبوق يضفي المزيد من البؤس على حياتك البائسة أساسًا.

شعرها الذهبي المموج، عيناها الخضراوان، وجهها وملامحه ذات الجاذبية الصارخة، ظهرها الممشوق من طريقة جلوسها وهي واضعة ساق فوق الأخرى، حتى عطرها الرقيق، كل شيء فيها يجعله يخرج من عالمه القبيح ويغوص في عالم الأنوثة المليء بالغواية، العالم الذي يستحق العشق.. ويمكن أن تقول فيه ما تريد دون الشعور بسذاجة وتعقيد العالم الحقيقي. قال وهو ينظر بجانب وجهها كأنه يتحدث لشخص غير موجود:

- يمكن لعمل المحقق في جرائم القتل أن يكون المهنة الأكثر توحدًا في العالم. أقرباء وأصدقاء الضحية يصابون بالحزن والإحباط، لكن عاجلًا أم آجلًا بعد مرور بضعة أسابيع أو أشهر يعودون إلى ممارسة حياتهم بشكل اعتيادي. بالنسبة للأشخاص الأكثر قُربًا من الضحية كأقرباء الدرجة الأولى.. يستغرق الأمر وقتًا أطول، لكن في معظم الأحيان وإلى درجة ما.. هم أيضًا يتخطون المأساة والحزن. يجب على الحياة أن تستمر، وهي تستمر فعلًا، إلا أن الجرائم التي لا يتم التوصل إلى معرفة سبب ارتكابها تظل تنخر وتتغلغل عميقًا ولا يبقى في النهاية سوى شخص واحد يفكر في الضحية ليلًا نهارًا.. إنه الشرطي الذي تولى عملية التحقيق في القضية. لا أريد الوصول إلى سن

القاعد وهناك مسمار قد تم غرسه في دهاليز عقلي وأصبح أحد أركانه. إن لم أتوصل إلى مرتكب هذه الجرائم ستعيش معي إلى آخر عمري.

- لم أعلم أن الأمر بهذه الأهمية بالنسبة لك، أتمنى مساعدتك، فقط أطلب مني وسأبذل ما بوسعي لتنفيذه.

- الموضوع شديد الغموض، ثلاثة ضحايا في أماكن مختلفة، نفس طريقة القتل، مستواهم الاجتماعي مرتفع، يوجد رابط بين ضحيتين فقط، أما الثالث فلم يسبق له التعامل مع أي منهم. لم نضع يدنا على أي طرف خيط إلى الآن.

- بالتأكيد سيرتكب القاتل أي خطأ يقودكم إليه.

- أعلم هذا ولكن متى؟ بعد الضحية الرابعة أم العاشرة؟ وحقيقةً لا أعتقد أنه سيرتكب أي خطأ، ارتكب ثلاث جرائم كاملة، لا يوجد ما يمنعه من الإكمال بنفس الطريقة.

لأول مرة تضع يدها على كفه.

- لا يوجد جريمة كاملة، لا تعلم ما يخبئه لك القدر، يمكن أن يرن هاتفك الآن وتجد خبر القبض على الجاني. هذه الحياة مليئة بالمفاجآت ولا يمكننا إدراك جميع ما نهدف إليه، الأمر الوحيد الذي بيدنا القيام به.. هو أن نبذل كل ما نستطيع، حتى إذا خلدنا كل ليلة إلى النوم، لا نفكر ونقول إنه كان بإمكاننا القيام بشيء أفضل.

جاء النادل بالطعام، وضعه أمامهم وانصرف. وعلى الصوت المعدني لارتطام السكاكين والشوك بالأطباق، حكى لها عن القضايا الثلاث وشدة ضيقه وشعوره بالعجز، ثم تحدث عن كرهه لزوجته وتأخره في العمل حتى يقضي أقل وقت ممكن بعيدًا عن المنزل، يعشق أولاده الثلاث ولكن البيت أصبح جوُّه أقرب إلى الملاهي من البيوت. حكت له قليلًا عن قضية الفساد الكبيرة التي تعمل عليها وتتمنى أن تضع يدها على الإثباتات اللازمة، والدتها وأسرتها في لبنان تتمنى منها العودة للعيش معهم، ولكنها تحب مصر وتعشق عملها كصحافية في هذه الأجواء المتوترة، ولا تتخيل نفسها في وطن آخر حتى لو كان وطنها الأم.
بعد العشاء خرجا من المطعم ليجدا الجو شديد البرودة، ركبا سيارة حاتم، وفي الطريق أوصلت ناديا هاتفها بكاسيت السيارة لتختار الأغاني. دوى الصوت العربي الأصيل لفيروز في جو الشتاء الضبابي هذه الليلة.

"بكتب اسمك يا حبيبي ع الحور العتيق..
بتكتب اسمي يا حبيبي ع رمل الطريق..
وبكرة بتشتي الدني ع القصص المجرحة..
بيبقى اسمك يا حبيبي واسمي بينمحى"

أدهم

عندما يكون أدهم رائق المزاج وهذا نادرًا ما يحدث في الآونة الأخيرة.. يسدل جميع ستائر شقته ويطفىء الأنوار ويختار أحد أفلامه المفضلة ويسهر على مشاهدته. عندما قام بزيارة إلى منزل الضحية الثالثة المستشار الراحل عيسى محمد العياط.. صدفة غريبة جعلت في إمكانه التعرف على القاتل، لا يدري ما يجب عليه فعله، ولكنه أحس ببعض السكينة من اكتشافه وقرر عدم التفكير بما سيفعله بهذه المعلومة في الوقت الحالي.

أعد طبقًا من الفشار وزجاجة "فيروز" مثلجة، وجلس أمام شاشة التلفزيون يشاهد "The Prestige" هذا الفيلم الساحر بطريقة مؤلمة. يحكي الفيلم عن مدى التضحيات التي يمكن للإنسان أن يقدمها في سبيل الوصول إلى هدفه، وإلى أي مدى يمكن أن تبلغ المنافسة بين خصمين أصبح الفوز والتفوق على الآخر هاجسًا مرضيًا يسيطر على حياتهما. أخذ يفكر في المسار الذي اختاره لحياته.. وهل الشروع في تنفيذ مخططه وعدم التوقف مهما حدث يجعله كأبطال هذا الفيلم، أحدهما ضحى بنصف حياته ليعيش نصف حياة كاملة، والآخر أصبح يقتل نفسه كل ليلة.

مع انتهاء الفيلم رشف ما تبقى في زجاجة الفيروز. أغمض عينيه بضع
ثوانٍ لإعداد نفسه لما هو مقبل عليه. أشعل الأنوار وذهب إلى غرفته
اليوم هو الرابع والعشرين من يناير. سيكون هناك الكثير من
المظاهرات غدًا ولكنه لا يهتم. الساعة الآن الحادية عشر. وبعد ساعة
سيكون عليه أن ينفذ مهمته التالية.

كان الاختيار هذه المرة من نصيب المستشار وائل الطوخي. يمتلك
سمعة متوسطة المستوى. فلا هو ملاكٌ ولا هو مرتشي ومتربّح من
عمله.. إذا واتته فرصة لن يعترض، ولكنه لن يبحث عنها. متزوج منذ
عشرين عامًا ولديه ولدان. النقطة السوداء في حياته هي علاقاته
النسائية خارج إطار الزواج. لديه إدمان لإقامة علاقات مع راقصات
وفتيات الركلام في الكباريهات، ولطبيعة عمله الحساسة في القضاء
أصبح هذا الأمر يشكِّل له عائقًا كبيرًا. فقام باستئجار شقة صغيرة
مكونة من غرفة واحدة لاستخدامها كجرسونيرة لنزواته.

ظل أدهم يراقبه لأسابيع حتى علم بأمر هذه الشقة. وتأكد من هدفها
بعدما رآه يذهب إليها مع ثلاث نساء مختلفين. يذهب المستشار إلى
الشقة في وسط الأسبوع فقط. أما ليالي الخميس والجمعة فيقضيها
مع عائلته. لديه يوم واحد ثابت هو الثلاثاء. يذهب قبل منتصف
الليل ويظل حتى الصباح.

اليوم هو الثلاثاء والساعة الآن الحادية عشرة. ارتدى أدهم بدلته
السوداء وصفف شعره، ثم اتجه إلى جرسونيرة المستشار. ركن سيارته

على بُعد شارعين، ترجَّل وذهب إلى البناية، صعد إلى الدور الثاني وانتظر بجانب الباب، ستمر ساعة أو ساعتان وتخرج المرأة التي يحتفل معها المستشار.

مرت ثلاث ساعات ببطء شديد، انتابت أدهم خلالها الكوابيس وترددت أغنية Oh Baby Baby It's a wild world في ذهنه طوال الوقت إلى أن كاد عقله ينزف من كثرة الذكريات. سمع صوت خطوات تقترب من الباب فصعد بضعة سلالم ليختفي، فتح الباب وقام المستشار بتوديع المرأة الثلاثينية ممتلئة الجسد عن طريق قُبلة على الخد، وقف ينظر إليها وهي تنزل السلالم إلى أن غابت عن نظره فتراجع خطوتين وبرفق بدأ يغلق الباب.

قبل أن يبلغ الباب الحلق.. نزل أدهم السلالم ودفع الباب بكتفه فانفتح ووقع المستشار على الأرض، أخرج من جيبه مسدسه الصاعق، انحنى على المستشار ليصعقه.. ولكنه فوجيء به وقد أخرج من جيب روبه المنزلي أنبوبة رذاذ قام برشها في وجهه، احترقت عينا أدهم وقام بإغلاقهما في ألم، في هذه الأثناء وقف المستشار وقام بالركض إلى غرفته.. أمسك هاتفه المحمول وبدأ الاتصال بالشرطة، مرت ثلاثون ثانية استطاع أدهم أن يفتح عينيه خلالهم، ركض تجاه غرفة المستشار.. قفز فوقه ووضع مسدسه الصاعق في عنقه كأنه يغرز سكينًا ويريد أن يدخله إلى آخره، اجتاحت ارتعاشة مروِّعة جسد المستشار إلى أن تسمر في مكانه.

كان التوتر ينهش أدهم من الداخل.. بيد مرتجفة أخرج القفاز الأبيض، ارتداه وتطلب منه الأمر أن ينتظر دقيقتين حتى يهدأ ليستطيع أن يضع يديه حول عنق المستشار ويضغط ليمنع الهواء من الدخول. صوت حشرجة خرج من المستشار وهو يفارق الحياة. بعدما تأكد أدهم من زوال نور الحياة من عين ضحيته جلس يلهث، ثم وقعت عيناه على هاتف المستشار.. أمسكه فوجد أنه متصل بالشرطة. أغلق الهاتف تمامًا وأخرج منه بطاريته، وفي سرعة أخرج أنبوبة الإسبراي وكتب على الحائط، ثم ركض خارج الشقة وعلامات الانزعاج محفورة على وجهه لعدم مرور الأمر كما أراد.

ما لم يعلمه أدهم.. أن هناك من كان يقوم بمراقبته وقام بتصوير كل ما حدث على كاميرا فيديو.

ميدو

نائمًا على سريره في الواحدة بعد منتصف الليل، أخذ هاتفه في الرنين، قام بإغلاق الخط في المرة الأولى والثانية، وعندما رن للمرة الثالثة نظر إلى الشاشة، وجد المتصل رقم خاص فقام بالرد.. عِلمًا منه أن المحقق الذي كلفه بمراقبة أدهم هو الذي يتصل به من رقم خاص.

- يجب أن تلاقيني حالًا في الحانة، لا تتأخر.

بصوت ناعس ولسان ثقيل من النوم:

- أأنت "عبيط"؟ كم الساعة الآن؟

- الأمر لا يحتمل التأخير، سأنتظرك نصف ساعة إن لم تأتِ لن تراني مرة أخرى.

ثم أغلق الخط.

لهجته توحي أن الأمر خطير. في تثاقل غادر السرير، ومن دون أن يغسل وجهه وأسنانه ويحلق ذقنه كما اعتاد.. بدأ في ارتداء ملابسه. وغالبًا كانت المرة الأولى التي لا ينظر فيها إلى المرآة قبل مغادرة المنزل.

ركن سيارته، ترجل ونزل السلالم الثلاث التي تؤدي إلى مدخل الحانة. كان الجالسون يبدو عليهم السُكْر الشديد وثيابهم رثة، أحدهم يحاول إقناع النادل بإنزال المزيد من البيرة على الطاولة وتأجيل الحساب

للغد، وآخرون جالسون يرتشفون المشاريب الروحية في بطء وملل والهم مطبوع على وجوههم. شخص واحد فقط كان يجلس على طاولة في الركن يبدو يقظًا متوترًا كحيوان حبيس.. إنه المحقق الذي ينتظر ميدو. ذهب إليه وجلس أمامه، وقبل أن يبدأ بمعاتبته على إيقاظه من نومه بدأ هو الكلام وهو يدفع إليه بظرف مغلق.

- هذا الظرف يحتوي على أسطوانة مسجل عليها مراقبتنا لأدهم، لاختصار الأمر، شاهد الدقيقة واحد وخمسين. لا تتصل بنا مرة أخرى والاتفاق بيننا قد انتهى. إذا حاولت إقحامنا أو حتى إقحام اسم الشركة فقط في الأمر ستواجه مشاكل لا قِبَل لك بها.

قبل أن يفيق ميدو من ذهوله ويسأل ما الأمر كان المحقق قد انصرف. وعندما عاد ميدو إلى منزله وشاهد الأسطوانة التي تحتوي على تسجيل لأدهم وهو يقتل المستشار وائل الطوخي في غرفته بالجرسونيرة.. علم سبب هروب المحقق من الأمر برمته وعدم رغبته في ذِكر اسمه. انتابه الهلع من الأسطوانة التي نزلت عليه كمصيبة هو في غنى عنها، جريمة قتل، ظل يردد الكلمة بضع مرات وهو يرتجف، وبدأ يلعن شذى ويلعن تفكيره المريض والانسياق خلف شهوته التي جعلته يتورط أو يصبح شاهدًا في جريمة قتل.

بدأ عقله يعمل للخروج من هذه المصيبة. يمكنه أن يتلف الأسطوانة وكأنه لم يشاهدها ولا يعلم شيئًا، ولكن ماذا لو كان المحقق قد أخبر الشرطة بالأمر؟ لا يعتقد أن يفعلها ولكن عليه التفكير في جميع

الاحتمالات، سيصبح وقتها معرقِلًا لعمل الشرطة. هل يذهب للشرطة ويسلمهم الأسطوانة؟ ولكنه لا يريد لاسمه أن يُدرَج في أي تحقيق.. لا يوجد من يحب الاحتكاك بالشرطة حتى لو كان مجرد شاهد. لأول مرة يجد نفسه في مصيبة حقيقية. كان دائمًا يموِّل ما يريد ويبقى بعيدًا حتى إذا لم تسرِ الأمور كما خطط لا يتم إقحامه. أما الآن.. فقد حشر نفسه في أمر لم يخطر له في أكثر تخيلاته ظلامًا أن يكون طرفًا فيه.

شذى

مع نسمات الصباح الأولى جلست أخت شذى الصغرى فوقها وبدأت بإيقاظها عن طريق تقبيلها على خدها وشعرها وجهها، استيقظت وفتحت عينها مستغربة اهتمام أختها بها هذا اليوم.

- هيا أفيقي لا يمكنني الانتظار أكثر من ذلك. سمعت صوت طرق على الباب منذ قليل.. ذهبت لأفتح فلم أجد أحدًا ووجدت هذه العلبة أمام الباب مكتوب عليها شذى.

طار النوم من عينها وفي عجلة أمسكت العلبة التي تشبه صندوقًا صغيرًا لونه كالذهب المطفي وعلى حوافه توجد نقوش عربية، أعلاه كتب بقلم أسود وبخط نسخ جميل "شذى". فتحت الصندوق فوجدت خاتمًا ذا فص أسود رقيق. فور أن وقعت عينها على الخاتم علمت أنه من أدهم، لم يترك أي ورقة باسمه ولكنها شعرت بذوقه التواق إلى التجديد والغرابة. في جانب الخاتم وجدت مفصلًا صغيرًا يمكنها من فتح الخاتم، فعلمت أنه من نوع ال Poison Ring أو خاتم السم، في القرون الوسطى اعتادو صنعه لتضع فيه النساء سمًا يمكنهم من تسميم من يريدون عن طريق سكب السم في كأس الخمر أو العصير للضيف أو المضيف من دون أن يلاحظ الحضور شيئًا.

فتحت الخاتم فوجدت فيه ورقة صغيرة تم طيها عدة مرات، فردت الورقة وقرأت محتواها "إما أن تغفري وتأتي لرؤيتي في مكاننا المعتاد، أو تغفري وتنتظري رؤيتي في الحياة الأخرى". هذا المجنون الذي قلبَ حياتها رأسًا على عقب وعلمها أن الرجال ليسوا جميعًا سواء، هناك من يمكنه أن يجعل الفتاة تعيش رومانسية القرون الوسطى في القرن الحادي والعشرين.

قفزت من السرير لترتدي ملابسها، للحظة تذكرت أنها غاضبة منه، ولكنها قالت لنفسها أنها ستعاتبه عند رؤيته وتجعله يعتذر. ظلت أمها تسألها ما الأمر، فأخبرتها أنها ستذهب لرؤية صديق، يساعدها على أن تكون إنسانة أفضل.

كان الجو باردًا، ولكنها أصرت أن ترتدي فستانًا أزرق يصل إلى ركبتها، وتحته Stocking أسود ليدفئ ساقها، أسفله حذاء باليرينا أزرق عليه فيونكة سوداء. فوق الفستان ارتدت بالطو أسود ثقيل يصل إلى أسفل خصرها بقليل. أمام المرآة وضعت القليل من الحمرة على خديها وصبغت شفتيها بلون النبيذ. ثم غادرت المنزل.

دخلت إلى الكافيه ووجدت أدهم يجلس على طاولتهما المعتادة في الركن الذي يطل على شارع جانبي هادئ، يقرأ في كتاب وأمامه كوب كبير من القهوة الأمريكية، يرتدي بنطلونا "جينز" وقميصًا كحليًا تزينه الكثير من المربعات الحمراء، وتم ترك شعره الأسود هائشًا كعادته. بهدوء

ذهبت إلى الطاولة وجلست أمامه. ترك الكتاب من يده ونظر إليها مبتسمًا.

- تبدين كأميرة في الأزرق.

- وأنت تبدو كمن على وشك تقديم اعتذارات وتفسيرات.

ابتسمت له مشاكسة.

- التفسير بسيط. كنت في حالة نفسية شديدة السوء ولم أرد أن أعكر حياتك بلقائي. أما الاعتذار فدعيني أقوم به.

أمسك كفها اليمنى وقبَّلها. ابتسمت ونسيت كل الكلام الذي أرادت قوله عن حزنها وغضبها منه لأن علاقتهما ليست قوية كما كانت تعتقد، وأنه إذا كان حزينًا أو مكتئبًا يجب أن تكون بجانبه أكثر من السابق حتى تخفف عنه وتهوّن عليه، كزوجة وفية في زواج دام لأكثر من ربع قرن. نسيت أو تناست هذا الكلام وقررت أن تستمتع بلحظة لقاء الحبيب بعد الفراق، هذه اللحظة التي حيرت الشعراء والأدباء في وصف حلاوتها.. ولكنهم اتفقوا ضمنيًا أنها ذروة انتشاء الروح.

- هل ترسمين شيئًا جديدًا؟

- توقفت عن الرسم طوال الأسبوع الماضي، ولكن لدي فكرة أعتقد أنها مثيرة. أريد أن أرسم أكبر لوحة مصرية، ستكون مقسمة إلى ثلاثة أقسام ومساحتها لا تقل عن خمسة أمتار. القسم الأول يصور فرحة اشتراكيين عبد الناصر بجلاء الإنجليز وحلمهم بوطن عظيم.. ثم الواقع الذي وجدوه بعد مرور الأعوام وصدمتهم بسياسات عبد الناصر وما

الت إيه البلد بسببه، القسم الثاني يصور أحرار السادات وفرحتهم بهزيمة إسرائيل والانفتاح الذي اعتقدوا أنه سيجعل مصر كأحد ولايات أمريكا.. ثم اصطدامهم تدريجيًا بالواقع الذي يزداد سوءًا يومًا بعد يوم، القسم الأخير هو جيلنا مفجر ثورة ٢٥ يناير، الفرحة المبالغ فيها بالثورة، النزاع بين الثوار بعد سقوط النظام، العودة للاستماع للإعلام رغم علمه الشديد بأن الكذب والنفاق جزء من تكوينهم الشخصي، وفي النهاية الإلتفاف حول الثورة وإخمادها تمامًا كأن لم تكن.

- ممم، حقًا لا أعلم كيف قامت الثورة وما الذي حدث فيها، ولكن لماذا تعتقدين أنها أُخمِدَت؟

- أنا لا أعتقد هذا ما حدث فعلًا، انتهت الثورة وشعر النظام السابق أن لديه الفرصة للعودة يوم أن أصبح هناك أكثر من منصة في ميدان التحرير.

- وددت لو تركزين رسوماتك على القضايا الإنسانية وتبتعدين عن السياسة، ولكن إن كان هذا ما تشعرين به في قلبك فاتبعيه.

- لم أبتعد عن القضايا الإنسانية، هذه أكبر قضية إنسانية يمكن التحدث عنها، تضحية قام بها ثلاثة أجيال متتالية على أمل الارتقاء بهذا الوطن وذهبت التضحية مع الرياح كأن شيئًا لم يكن. إعطاء الأمل ثم انتزاعه من القلوب كما تنتزع كرة مليئة بالشوك من كنزة

صوف. أحيانًا أندم على قيام هذه الثورة. التغيير الذي نريده لم يأ

والحالة العامة ازدادت سوءًا. كنا "كويسين" قبل الثورة.

- قولي كنت "كويسة" قبل الثورة وليس كنا "كويسين". هناك فارق

كبير. فعدد المرتاحين في هذا البلد لا يتعدى الخُمس. أي في مقابل

الرفاهية التي تحصلين عليها هناك أربعة أشخاص يسهرون كل ليلة

يفكرون في كيفية تدبير الطعام لأسرتهم. في عام ٢٠٠٠ كان نسبة من

هم تحت خط الفقر ١٦.٥%.. وتم حساب خط الفقر بداية من ثماني

جنيهات ونصف يوميًا. أي أن الذي يربح عشرة جنيهات يوميًا لا يتم

اعتباره تحت خط الفقر. في العام ٢٠١٠ وصل العدد إلى ٢٥%.

فكيف تريدين لهذا الشعب ألا يثور؟ صحيح أن الثورات تُسرَق.. ولكن

بريقًا منها يظل في القلب يساعد على العيش في ظلام فرض علينا.

- ما يضايقني أن الأمر متعب. عدم رؤية الأمل أسهل من رؤيته ثم

اختفائه.

- لكل منا سببه في عدم مغادرة هذا الوطن.

نظر إلى عينيها وأضاف:

- ظللت لمدة تسعة وعشرين عامًا أبحث عن سبب بقائي إلى أن

وجدته.

ضربته على كفه بدلال. وأخبرته أنها سامحته على اختفائه في الأسبوع

الماضي على شرط أن يحكي لها عن ماضيه الغامض. ابتسم ووعدها

أن يحكي لها قريبًا كل شيء.

بعد ساعتين قررا الانصراف، دفع أدهم الحساب ووجد أنها جاءت بسيارتها، فأخبرها أنه سيركب معها إلى منزلها ثم يستقل سيارة أجرة عائدًا إلى الكافيه، حتى يمضي معها أطول وقت ممكن. أعطته مفاتيح السيارة وطلبت منه أن يقود حتى تمسك يده من دون أن تنشغل بالطريق.

في الطريق أشعلت كاسيت السيارة، دوى الصوت القوي لمغنية فرقة Within Temptation الرئيسية في أحد أشهر أغانيها:

"في هذا العالم حاولت..
ألّا تتركني وحيدة خلفك..
لا يوجد سبيل آخر..
سأصلّي للإله أن يتركك تبقى..
الذكريات تحرر الألم من الداخل..
الآن أعرف لماذا..
جميع ذكرياتي تبقيك قريبًا..
في لحظاتي الصامتة أتخيل أنك هنا..
الهمس الصامت.. الدموع الصامتة"

العقيد حاتم

دائمًا ما يقولون أن الضربة الأولى في أي معركة هي الأكثر ألمًا، وكل ما يأتي بعدها تخف درجة وطأته تدريجيًا مع تكرار الضرب. لذلك عندما عرف حاتم بوقوع الجريمة الرابعة في سلسلة القتل لم يتأثر كثيرًا، أجرى جميع إجراءات التحقيق في لا مبالاة وكأنه مخدر. القتيل هو المستشار وائل الطوخي، وصفه جميع زملائه بأنه شديد التقليدية في حياته. يحب عمله كثيرًا ويحب السهر على المقاهي ولعب الطاولة والكوتشينة رغم أن المقاهي غير مناسبة بالنسبة إلى القضاة. لا يمكننا وصفه بال"مرتاح ماديًا" فسيارته متوسطة المستوى ومنزله فوق المتوسط بقليل. الملاحظة الوحيدة الملفتة للنظر والتي اتفق عليها الجميع هي علاقاته النسائية التي اعتاد أن يفخر بها بين أصدقائه المقربين في أحيان كثيرة. غير هذا كان رجلًا طيبًا يعول أسرته ويجيد عمله كقاضٍ.

بذل حاتم الكثير من المجهود حتى لا تعلم الصحافة بمكان موت المستشار في شقة قام باستئجارها لمقابلة نسائه فيها. حاول جاهدًا أن يبقي الأمر طي الكتمان حتى لا تتأثر سمعته وتؤثر على أولاده من بعده، ولكن للأسف بطريقة ما استطاع أحد الصحافيين الحصول على

المعلومة وقام بنشرها في عنوان أثار جدلًا كبيرًا. وبالتالي تبعته بقية الصحف في الحديث عن الأمر واستخدمتها كمادة جديدة تضاف إلى سلسلة جرائم القتل وتعطيها مزيدًا من البهارات التي تجلب المزيد من القراء. تنوعت عناوين المانشتات ولكن جميعها حملت نفس التيمة.

"في جرسونيرته الخاصة باستقبال الراقصات يُقتل رجل القانون"

"الضحية الرابعة للقاتل المتسلسل والخبراء يتوقعون المزيد"

"رجال قانون يعشقون النساء، هل علاقاتهم العاطفية كانت السبب في مقتلهم؟"

طوى الصحف في غيظ، وازداد غيظه عندما تذكر العبارة التي كتبها القاتل هذه المرة فوق الجثة وكأنه رسول الله في الأرض المكلف بتنفيذ القانون.

"وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل"

أصبح الآن متأكدًا أن القاتل مجنون يعبث بهم ويظن أنه مكلف بمحاربة الظلم. كالعادة لم يجدوا أي بصمات أو دليل يمكنهم من اتباعه، ولا يوجد من يمكنهم الشك فيه فالشقة في النهاية جرسونيرة لا يعلم أحد من هم روادها. سيطرت عليه اللامبالاة في العمل، زاد استهلاكه من الشاي والقهوة والتدخين بطريقة ملحوظة، يزدرد سندوتشات الفول والطعمية والبطاطس كل صباح لتمضية الوقت فقط.

رن هاتفه. نظر إليه فوجد رسالة من ناديا، تحاول أن تخفف عنه وتمزح معه لأن بعض الصحف نشرت صورته مع أخبار القاتل المتسلسل على أنه الضابط المسئول عن التحقيق، أخبرته أنه يبدو وسيمًا والجدية مرتسمة على وجهه في الصورة، ولا يجب أن يحزن لأن الشهرة تجلب الفتيات فيكون قد خرج من هذه القضية بشيء ما على الأقل.

استطاعت أن تسرق ابتسامة من خزينة الاكتئاب التي حُبِسَ بداخلها ناديا هي الصحفية الوحيدة التي كتبت أكثر من مقال تدافع فيه عنه وعن الشرطة عمومًا، تحدثت عن قلة الأدلة التي بحوزتهم، وحرص القاتل الشديد على عدم ترك أي شيء خلفه قد يقود إليه، وذكرت الكثير من الجرائم في أوروبا وأمريكا انتهى التحقيق فيها من دون التوصل إلى القاتل.

أمسك هاتفه ورد على رسالة ناديا قائلًا لها لا أريد فتيات أريدكِ أنتِ، حزنه واكتئابه أعطياه بعض الشجاعة، أو تفكيره أنها ستأخذ الرسالة كمزحة كما تفعل دائمًا. دقيقتان وتلقى رسالة منها تقول فيها ألا يتمناها لأنها له بالفعل. لم يستطع تفسير الرسالة هل هي مزاح كالعادة أم لا، أخذ يفكر بضع دقائق ثم بدأ في كتابة رسالة أخرى.

في وقت كتابته دخل عليه أمين الشرطة فتحي، أعطاه طردًا مغلقًا وأخبره أن الراسل مجهول وقد كتب عليه أن يتم إيصاله إليك. فتح الطرد فوجد أسطوانة وقد كتب عليها شاهد الدقيقة ٥١. أذن لفتحي

بالانصراف، ثم وضع الأسطوانة في الكمبيوتر وقام بتجربة الفيديو إلى الدقيقة ٥١، وكبلوغ ذروة النشوة الجنسية لمراهق لم يتعدَ الثامنة عشر.. شاهد أدهم وهو يقتل المستشار وائل الطوخي في غرفة نومه بالجرسونيرة، يبدو أن المصور كان يجلس على شجرة لأن الصورة غير واضحة ويوجد بعض الأغصان التي تحجب الرؤية، ولكن وجه القاتل يسهل رصده والتعرف إليه. بلهفة شديدة وصوت متقطع من فرط الشعور بالإثارة نادى على فتحي، أخبره أن لديه فيديو يحتوي على وجه القاتل، سنقوم بطباعة وجهه وإرساله إلى جميع الأقسام للتعرف عليه.

بعد نصف ساعة قضاها حاتم في توتر وترقب فتح خلالها إيميله الشخصي ونظر إلى هاتفه أكثر من عشر مرات.. أتاه الرد من قسم المعادي وقد تعرف على القاتل في الفيديو، أخبروه باسمه كاملًا وعنوانه في أحد الأحياء الهادئة بالمعادي. قام بمهاتفة أحد ضباط قسم المعادي وطلب منه أن يرسل قوة لمحاصرة منزل أدهم إلى أن يصلوا إليه، عشر دقائق وتلقَّى هاتفًا من الضابط نفسه أخبره أنهم يحاصرون البناية وسيارة أدهم مركونة أمامهم، بما يعني أنه في المنزل.

أخذ الطريق من مكتبه إلى منزل أدهم في عشرين دقيقة، ركب معه فتحي أمين الشرطة والعساكر سالم وإبراهيم وخلفهم سيارة شرطة. لم يكن يفكر أو يهتم بالترقية المنتظرة والمكافأة عقب إلقائه القبض على القاتل، كل ما شغل تفكيره هو معرفة سبب الجرائم. وصل إلى المنزل

ووجده محاصرًا تمامًا من جميع الجهات. لم يطرق الباب معطيًا فرصة للجاني أن يسلِّم نفسه.. اقتحمه فورًا عن طريق كسر باب الشقة، وانتشر الجميع شاهرين مسدساتهم ترقبًا لأي مقاومة.

عندما دخل حاتم إلى غرفة النوم الرئيسية، ومن نظرة واحدة أثقلها خبرة أعوام من العمل في سلك الشرطة.. علم أن الشقة ستكون فارغة وأن المتهم قد هرب. خزانة الملابس فارغة تمامًا، لا يوجد أي متعلقات على الكومود بجانب السرير أو على المكتب. قام العساكر بتفتيش جميع أركان الشقة.. داخل الخزائن وتحت السرير وجميع الخبايا التي يمكن أن يختفي بداخلها أي شخص، جميعها فارغة. الأمر الوحيد الذي لفت نظرهم هو وجود غرفة مغلقة، في سرعة أخبروا حاتم الذي وقف أمام باب الغرفة وبقدمه ضرب الباب ثلاث ضربات انخلع بعدها.

كانت غرفة صغيرة فارغة من الأثاث ولا يوجد بها أي شباك أو فتحة للتهوية، تم وضع الكثير من الصور الفوتوغرافية في كل شِبر من جدرانها.. فبدا وكأنك داخل غرفة قديمة لتحميض الصور، بالإضافة إلى قصاصات من جرائد متفرقة. جرى بعينه على الصور وعلى قصاصات الجرائد، إلى أن وقعت عيناه على صورة قديمة ذات أطراف بالية.. كانت صدمته كبيرة وغير متوقعة، انعقد لسانه وشعر بالدماء تضرب بقوة في عروقه إلى رأسه وكأنها تريد الانفجار والخروج.

ناديا

فور أن انتقلت عائلة ناديا المكوَّنة من والدها ووالدتها وأخيها الأكبر إلى مصر، سكنوا شقة بالزمالك قامت باستئجارها السفارة اللبنانية لمنتصلها في مصر. كان أحمد الأخ الأكبر وقتها في عامه الأخير من الجامعة، قام والده بتسجيله في هندسة جامعة القاهرة لإكمال شهادته. وكانت ناديا قد أنهت لتوها عامها الأخير من المدرسة في بيروت وعلى استعداد لدخول الجامعة، لم يهتم والدها باختيارها كثيرًا، وتمنت الأم أن تدخل آداب مثلها، ولكن ناديا أصرت على كلية الإعلام، كانت ترى نفسها كمذيعة دائمًا متأنقة وفي كامل زينتها. لم يخيب والدها ظنها واستخدم علاقاته الدبلوماسية لتسجيلها في إعلام جامعة القاهرة من دون أن تضطر للذهاب إلى الجامعة أو إلى مكتب الوافدين كجميع الطلاب الأجانب.

في الصيف الذي يسبق دخولها الجامعة.. بدأت ناديا بالتعرف على المنطقة الجديدة التي انتقلت إليها مجبرة، على استحياء ذهبت إلى مطاعم وبارات الزمالك القديمة التي يفوح من جدرانها وأثاثها عبق التاريخ، أسقف عالية ومداخل مزخرفة على الطراز الأوروبي ورواد يحملون في ملامحهم وملابسهم بقايا أرستقراطية عصر مضى منذ

بضعة عقود. أحبت شارع ٢٦ يوليو بمحلاته ومطاعمه وشعرت أنه أحد أحياء أوروبا التي يسكنها العرب. وكأن الشرق والغرب تعاونا لإخراج هذا الخليط الساحر. اتخذت من مقهى عمر الخيام أحد أقدم مقاهي الحي مكانًا مفضلًا لها. فأصبحت تزوره وتجلس وحيدة لساعات تقرأ رواياتها المفضلة لإحسان عبد القدوس ويوسف السباعي ونجيب محفوظ بالإضافة لمسرحيات توفيق الحكيم.. في ظل احتسائها لأكواب القهوة ومشروب الشعير. كانت تشعر بالإثارة بمجرد التفكير أنها تعيش في الحي الذي سكنته عباقرة الطرب العربي كعبد الحليم حافظ ومحمد عبد الوهاب وأم كلثوم. بالإضافة إلى نجمتها المفضلة سندريلا السينما المصرية سعاد حسني.

أمضت فترة الصيف وحيدة في رفقة الحي العريق، ومع بداية سبتمبر بدأت الدراسة. في غضون بضعة أيام بدأت ناديا تكوِّن صداقات عديدة.. وأصبحت ضمن أفراد شلة من الفتيات والأولاد جميعهم في العام الأول من كلية الإعلام. تكوَّنت الشلة من ثلاث فتيات يعشقن النميمة ويعتبرنها غذاء الروح، وأربعة أولاد في منتصف سن المراهقة ولكن يبدو أن النضوج الفكري لم يطلهم بعد، أعلى شفاههم يوجد شارب خفيف ويضعون الكثير من الجل على شعرهم وينفثون دخان سجائرهم وكأن هموم العالم فوق أكتافهم.

كان أفراد الشلة يمضون معظم الوقت معًا، سواء في الدراسة أو الخروج مساءً للجلوس في أحد الكافيهات، وكما كان يحدث مع ناديا في

لبنان بسبب جمالها الملحوظ من شعر أشقر وعينان خضراوان.. حاول الكثير من الأولاد من داخل كلية الإعلام وخارجها مصادقتها، خصوصًا الأولاد من داخل الشلة الذين اعتبروا أنفسهم أولى بها من أي شخص آخر. صدت الجميع عنها بلطف ودبلوماسية، ولكنها لم تسلم من نميمة الفتيات وغيرتهن الشديدة وأصبحت تبذل مجهودًا إضافيًا ولطفًا زائدًا ليظْلِلْنَ صديقاتها ولا ينبذنها من حياتهن، هي التي لا تعرف أحدًا آخر في هذا البلد.

مضى العام الأول على هذه الوتيرة، وفي العام التالي تغيرت حياتها مائة وثمانين درجة، حين تعرفت على رجل أعمال عندما كانت تحتفل مع أصدقائها في أحد نوادي الزمالك الليلية بعيد ميلادها. يدعى أشرف ثابت.. في الأربعين من عمره، وهو من أغنياء حي الزمالك وشهير بامتلاكه شركة مقاولات ضخمة. كان وسيم الملامح رغم عمره المتقدم، أسمر البشرة ذو شعر ناعم يقوم بتسريحه إلى الخلف، لا يرتدي غير البدل الغالية التي فُصِلَت خصيصًا لأجله.

بعد أن انتهى عيد الميلاد وبدأت ناديا وأصدقاؤها في تجميع النقود لدفع الحساب.. فوجئوا بأن هناك رجلًا قد دفع الحساب كاملًا الذي تعدى ثلاثة آلاف جنيه. أخبرهم النادل دون الشعور بأي حرج وكأنه قام بهذا العمل مرارًا.. أن الجالس على الطاولة المقابلة لهم هو أستاذ أشرف ثابت وقد دفع الحساب كاملًا على شرف الجميلة الشقراء التي أمتعته بجمالها ورقصها طوال السهرة. جميع الأنظار اتجهت إلى ناديا

بما أنها الشقراء الوحيدة بينهم، ثم إلى أشرف وهو يرفع كأسه إليهم محييًا.

بعد هذا الموقف لا تدري ناديا كيف أصبح أشرف محور حياتها. بهرتها أناقته المبالغ فيها ونقوده التي ينفقها بكرم شديد حتى على أصغر الأشياء، إضافة إلى هداياه من ذهب وساعات وملابس شديدة البذخ من ناحيته. قرر أن ناديا بشعرها الأشقر الهائش وعينيها الخضراوين وبشرتها البيضاء المشربة بحمرة خفيفة.. هي التي تستحق أن ينهي من أجلها عزوبيته التي دامت لعشر سنوات منذ أن ترك زوجته الأولى والدة أطفاله الاثنين. عرض عليها الزواج بعد ثلاثة أشهر من السهر معًا في الفنادق والبارات، وبعد أن أصبحت ملابسها بمثابة إعلان لأرقى الماركات العالمية نتيجة هداياه التي لا تنقطع، وافقت على الفور ودون أي تفكير. علمت أن جميع أصدقائها قاطعوها بعد أن بدأت في الخروج مع أشرف، الفتيات غيرة وحقدًا عليها، والأولاد لتجنب شعورهم بالضآلة بجانب الحوت الذي سيتزوجها، لم تهتم.. فعندما تدخل الجنة لا تفكر في من تتركه خلفك.

عارضت أسرتها الزواج بشدة، والدتها لأن العريس من أصول فقيرة وضحت تمامًا في الزيارات القليلة التي قام بها لمنزلهم، ووالدها لأن خبرته الدبلوماسية وسؤاله عن العريس أكدت له أن ابنته لن تكون سوى دمية يمرح بجسدها ويتباهى به لفترة ولن يستمر الزواج، والأخ الأكبر أحمد.. رفض أسوة بوالده الدبلوماسي الكبير العالم ببواطن

الأمور. وكفتاة في أول تجربة حقيقية لها في الحب.. لم تكذب خبرًا واتخذت أبطال رواياتها الخيالية مثلًا أعلى، عندما أصرت أسرتها على الرفض وهددتها بحبسها في المنزل إن لم تتركه، قامت بالهروب والزواج منه "خطيفة" كما يقول الشاميون، أي عن طريق الهروب من بيت أهلها وعدم موافقتهم على الزواج.

لم يعارض أشرف الأمر واحتفى بها احتفاءً مبالغًا فيه لتشجيعها على خطوة الهروب من أهلها لأجله. أقاموا عرسًا ضخمًا أحياه الكثير من المشاهير وقتها، وكان ضيوفه يلمعون من فخامة ملابسهم من بدل الرجال وفساتين النساء. لم تقم ناديا بدعوة أي من أصدقائها في الجامعة، شعرت أنهم ابتعدوا عنها بعد تعرفها على أشرف ولم تهتم.. فقد دخلت عالمًا جديدًا لا مكان لهم بداخله. مضى العرس على أكمل وجه وكانت تشعر أنها أميرة تم تقبيلها قبلة الحياة. شيء وحيد عكّر صفو فرحتها هذه الليلة.. الحميمية الزائدة التي تعامل بها أشرف مع الراقصة، كان يضع ذراعه حول كتفها ويرقص وهو ملتصق بجسدها. راعت ناديا أن الخمر لعبت برأسه وقالت لنفسها إنه عرس ولابد أن تزاح القيود قليلًا هذه الليلة فقط.

أمضيا شهر العسل في جزر الكاريبيان، أقاما بغرفة خشبية تطل على البحر مباشرة، شربا أفضل أنواع الخمر ورقصا في الحفلات التي تقام كل ليلة إلى أن تشرق الشمس. تألمت ناديا كثيرًا في ليلتهما الأولى ولكنه

لم يصبر عليها إلى أن أخذ مراده منها وأشبع غريزته. وعندما عادا من السفر سكنت معه في "فيلته" الجميلة بحي الزمالك.

مضى شهر يوليو -الشهر الأول من الزواج- كأفضل أيام يمكن لإنسان أن يعيشها. جميع طلباتها مجابة. الخادمات الفليبينيات والطباخ والسائق دائمًا على استعداد أن تطلب منهم شيئًا. أصبح لديها سيارة مرسيدس حمراء. وقام بإعطائها كارت إئتمان لشراء ما تريد. وأصبحت ترافقه في سهراته الليلية مع نخبة المجتمع في بارات الفنادق وفيلاتهم الخاصة.

انتظرت أن تحاول أسرتها الاتصال بها. ولكن عندما اتصلت بالخادمة أخبرتها أنهم تبرءوا منها واعتبروا أنهم لم تكن لديهم بنت في يوم من الأيام. رغم علمها بمدى الحزن الذي سببته لهم تمنت أن يغفروا ويعاودوا الاتصال.

مع بداية الشهر الثاني من الزواج بدأت خروجات زوجها برفقتها تقل تدريجيًا. اختزل الوقت الذي يمضيه معها في سهرة يوم الخميس فقط. لم تعترض وأمضت وحدتها التي تستمر لأيام في الذهاب للمكتبات والجلوس في مقاهي الزمالك التي أحبتها وزيارة الكوافير والذهاب إلى نادي الجزيرة الذي جعلها زوجها عضوة فيه. وفي اليوم الأول من الشهر الثالث شعرت أن رائحة ثيابه تفوح بعطر نسائي يمكن اشتمامه من على بُعد بضعة كيلومترات. في غضب سألته عن هذه الرائحة.. وتوقعت أن يدافع عن نفسه ويقسم ألا دخل له بها ويقوم

بمصالحتها، ولكن ببرود شديد قال أن عمله يتطلب منه السهر في أماكن يتواجد بها راقصات ويتطلب منه الجلوس مع نساء في جلسات عمل.. وكان حريّ بها أن تعلم هذا قبل الزواج لكي لا تعكر حياته كما تفعل الآن.

ابتلعت الإجابة التي صدمتها، ذهبت إلى الحمّام وأغلقت الباب، وبكت بحرقة شديدة لأكثر من نصف ساعة. وعندما خرجت كان صوت شخير زوجها وهو نائم بمثابة وخزات دبوس رفيع في قلبها الشاب.

بعد هذه الواقعة قررت أن تتبعه، لديها الكثير من وقت الفراغ ولن تبدأ جامعتها قبل شهر. اختارت مساء الجمعة ليكون هو اليوم، ارتدت ملابس مريحة غير ملفتة من جينز فاتح اللون وبلوزة واسعة، لمت شعرها الأشقر في كرة خلف رأسها وارتدت نظارة شمس رغم أن الوقت ليلًا، لم تذهب بسيارتها وقامت بالاتفاق مع سائق تاكسي مقابل مبلغٍ مجزي.

خرج من المنزل في العاشرة مساءً، خرجت خلفه واستطاع التاكسي أن يتبعه من مسافة بعيدة إلى أن توقف أمام بار في أحد شوارع الزمالك الجانبية، كانت المرة الأولى التي ترى فيها هذا البار رغم عيشها بالزمالك لأكثر من عام ونصف. خرجت من التاكسي ولم تدرِ ماذا تفعل، هل تدخل خلفه أم تنتظره خارجًا، وقفت لعشر دقائق حائرة ثم حسمت أمرها ودفعت الباب ذا الضلفتين المتباعدتين كأبواب أفلام رعاة البقر. في الداخل كان زوجها، يجلس مع امرأة في أوائل

الثلاثينيات، سوداء الشعر وترتدي فستانًا قصيرًا يكشف عن ساقين
طويلتين وممتلئتين قليلًا. الغير مستحب في الأمر هو جلوسها حرفيًا
على حجره، تمسك في يدها اليمين كأسًا فارغة وتضع ذراعها الشمال
حول عنقه. لم تستطع الاحتمال ومواجهته في المنزل، ركضت إلى
طاولتهما.. أمسكت المرأة من شعرها وأوقعتها أرضًا، تحولت جميع
أنظار الجالسين إليهم، وتوقف الزمن لبضع ثوانٍ وزوجها ينظر إليها غير
مصدق، بعدما أفاق من المفاجأة.. وقف وصفع ناديا على وجهها
صفعة جعتلها تترنح وتقع على الطاولة خلفهم ثم على الأرض، رفعت
عينيها فوجدته يمسك ذراعها لتقف ويذهب بها إلى سيارته خارج
المكان. بداخل السيارة كان يقود كالمجنون، يصرخ بها ويسب ويلعن،
عشر دقائق ووصلا إلى المنزل، اكتشفت الدماء التي سالت من شفاهها
ولوثت بشرتها البيضاء باللون الأحمر، وهي تخرج من الباب شعرت
بألم في ذراعها نتيجة إمساكها وجرها منه.

أمسكها من ذراعها مرة أخرى، قذفها داخل المنزل وقد هدأ قليلًا، وفي
صوت أجش ولسان ثقيل من فعل الخمر قال لها أن تلملم ملابسها
وتنصرف بغير عودة، وكرر كلمة "أنتِ طالق بالتلاتة" بضع مرات دون
ملل.

بدموع تنهمر من عينيها وتمتزج مع الدماء على وجنتها انصرفت من
أمامه، وضعت ما تيسر لها من ملابس بداخل حقيبة صغيرة وخرجت
من الفيلا لا تدري ما العمل، وجدت مفتاح سيارتها بداخل حقيبتها،

فأدارت السيارة وانصرفت تقود في الشوارع الشبه فارغة وهي في حالة صدمة نفسية ستلازمها إلى آخر عمرها. بعد نصف ساعة من القيادة دون هدف، أخرجت هاتفها المحمول، تمنت أن يكون لها ولو صديقة وحيدة يمكنها الاتصال بها والاعتماد عليها، اكتشفت وقتها أن التضحية التي قامت بها من أجله تركتها وحيدة وحدة حيوان نافق في صحراء غير مأهولة تقع خارج نطاق الزمن. بآلية ومن دون تفكير طلبت رقم والدتها، بصوت باكٍ متقطع حكت لها ما حدث وطلبت منها الصفح، قالت لها والدتها أن تعود إلى المنزل ولا تقلق من شيء.

كانت مخدرة طوال طريق عودتها إلى المنزل، لم تفكر برد فعل أهلها، غالبًا لأن والدتها طمأنتها. ظلت تفكر في الوقت الذي سيأتي فيه أشرف راكعًا يطلب الصفح ويرجوها أن تعود إليه، وقتها لن تتراجع عن قرارها حتى ولو أعطاها كنوز قارون ووعود كتبت بالدم، سيكون صدها له غير قابل للتغيير.

وصلت إلى المنزل وركنت سيارتها، قامت بدق الجرس إذ لم يكن في حوزتها مفتاح عندما هربت وتركتهم. فتح لها الباب أحمد أخوها، دخلت وهي تقدم ساقًا وتؤخر أخرى، وجدت والدها ووالدتها في كامل يقظتهما جالسين على أريكة مواجهة للباب، أغلق أحمد الباب بهدوء، وضعت حقيبتها على الأرض وبدأت دموع الذل تغادر عينيها في صمت، وقبل أن تبلغ أصابعها وجهها لتمسح دموعها كان أحمد قد أمسكها وقذف جسدها الضئيل على الأرض، وبدأ بضربها كأنه أمسك لِصًا في

محطة مترو. لم تهتم.. حقيقةً لم تهتم بكمّ الركلات التي تلقتها في ضلوعها ومعدتها وجعلتها غير قادرة على التنفس، ولا الصفعات المتتالية على خدها الأيمن والأيسر إلى أن أصبح لونهما بلون الدم القاني، ولا البصقات التي جعلتها تشعر أن الحيوانات لديها كرامة أكثر منها. الشيء الوحيد الذي آلمها وترك ندبة غير قابلة للإزالة في جدران روحها الرقيقة.. أن والدها ووالدتها لم يحركا ساكنًا طوال الخمس دقائق التي ظل أحمد يضربها خلالهم، وكأن بينهم اتفاق ضمني أن هذا ما تستحقه، لم تسألهما بعدها ولا تريد أن تعرف، فبعض الأشياء يكفي أنها حدثت والمعرفة لن تغير من الأمر شيء.

استيقظت ناديا في ظهيرة اليوم التالي، الكدمات والجروح تغطي جسدها والانكسار يسكن قلبها. جلبت لها والدتها إفطارًا خفيفًا معه كوب شاي بحليب، ثم غادرت الغرفة دون التفوه بأي كلمة. مضت الأيام التالية في منزل أسرتها ببرودٍ شديد، والدها وأخوها لا يتحدثان أو يلتفتان إليها.. وكأنها أريكة قديمة لا لزوم لها وفي نفس الوقت من غير المفيد بيعها أو التخلص منها. والدتها حاولت التحدث إليها وكأن شيئًا لم يكن.. أرستقراطيتها منعتها من إظهار مشاعرها حتى لابنتها الوحيدة. أصبحت ناديا وحيدة في المنزل محرم عليها الخروج بمفردها، يجب أن يصحبها أحد أفراد أسرتها، لم تهتم كثيرًا، ولكن المسمار الأخير الذي تم دقه في نعشها هو ورقة الطلاق من أشرف التي ألقاها والدها في وجهها وكأنه يذكرها بما فعلته، حتى بعد كل ما حدث كان لديها

أمل أن يأتي أشرف إليها جاثيًا على ركبتيه طالبًا منها الصفح.. فتقوم بصده مستعيدة كرامتها المهدرة.
عندما بدأت الجامعة فوجئت أن والدها قام بتعيين سائق خاص بها لاصطحابها من البيت إلى الجامعة ثم إعادتها دون الذهاب إلى أي مكان آخر. تأقلمت على حياتها التي أصبحت سجنًا كبيرًا نسبيًا.. المنزل والسيارة والجامعة ونادرًا الخروج مع أسرتها لتناول عشاء في أحد المطاعم على الكورنيش. وفي الجامعة لم ينتهِ الأمر، أصبحت المادة الأساسية لحديث ونميمة جميع الفتيات، تمشي فتشعر بعشرات العيون والأصابع تخترقها وتشير إليها، لفظها جميع أصدقاء شلتها القديمة وكانوا المموليين الأساسيين لسيرتها الذاتية مع طليقها.. الذي أخذ منها نطفتها الأولى ثم رماها كحذاءٍ قديم قام بتقديم الغرض منه.
تأقلمت مع وضع حياتها الجديد، كما يفعل من حُكِمَ عليه بالسجن المؤبد.. يعتاد حياته الجديدة وحقيقة أنه لن يرى البحر مرة أخرى ولن يستنشق عطر امرأة جميلة ولن يأكل في مطعمه المفضل، اعتادت تاديا سجنها الجديد وأصبحت على قيد الحياة ولكن روحها متوفية. إلى أن حدثت معجزة.. معجزة تدعى «باسم»، زميلها في الجامعة، طويل ذو جسد رياضي ممشوق، وجه أبيض حليق جميل الملامح، وشعر ناعم فاحم السواد يقوم بتمشيطه إلى الخلف. كان باسم مخلِّصها ومن بعثها إلى الحياة مرة أخرى. عندما كانت الفتيات يتحدثن عنها بصوت مرتفع نهرهن وقال إن اللواتي يتحدثن بهذه

الطريقة هي "عواجيز الفرح"، من بعدها هجرت الفتيات سيرها
وكأنهن يخفن على سمعتهن، وأيضًا بسبب شهرة باسم في الجامعة كلها
وشعبيته الطاغية.. من بطولات السباحة إلى التفوق في الدراسة إلى
الوسامة الربانية التي جعلت لديه قبول لدى كل من يتعرف عليه
اتفق الجميع أن مستقبله في الإعلام سيكون كبيرًا خصوصًا عندما
جاءه عرض للتدريب في إحدى أشهر القنوات.

كان هذا الموقف هو بذرة علاقتها بباسم، قامت بصده بضع مرات في
البداية لخوفها من الدخول في علاقة جديدة.. ولكن مثابرته عليها
أكدت لها صِدق مشاعره. كان يحبها حبًا شديدًا ويعدها بتعويضها عن
كل ما حدث لها، حتى أنه قابل والدتها التي أحبته كثيرًا.. وشعرت بأنه
منقذها أمام أصدقائها.. ستستطيع أن تتحدث عن خطيب ابنها
مستقبلًا، دون أن تغيِّر الحديث كما كان يحدث عقب زواجها من
أشرف. انتهى العام الدراسي وقابل والدها، وبعكس توقعها أحبه
والدها كثيرًا، تحدثا معًا عن الإعلام وهذا الوسط الذي يحتوي على
الكثير من النقود والقليل من الأخلاق، أخبره باسم أنه رآه في التلفزيون
من قبل عند افتتاح بعض المعارض اللبنانية.. أثنى على أناقته ونجاحه
بالسلك الدبلوماسي ورغبته في مصاهرته واتخاذه كقدوة له إذ إن
والده متوفي منذ أن كان في العاشرة من عمره.

بعد مرور بضعة أشهر على علاقتها بباسم قام بخطبتها، فبدأت قبضة
أسرتها تخف من عليها ثقةً في باسم، وأصبحت تخرج معه ليلًا بعد أن

كانت الجامعة هي المكان الوحيد للقائهما. لم يكن ثريًا كأشرف بالتأكيد، ولكن الخروج بصحبته له طعم آخر أكثر حلاوة وأكثر ابتكارًا ورومانسية. كان يحب ركوب الخيل والجلوس معها في الصحراء الواسعة بنزلة السمان بجانب الأهرامات.. والقيام بتشغيل الكاسيت متوسط الحجم بأغاني "فرانك سيناترا" مطربه المفضل.. وإشعال نيران تدفئهما وتلقي بظلالها على وجهها فيضيء جمالًا. في عيد ميلادها قام بكتابة "كل سنة وأنتِ طيبة يا عالمي الوحيد B" بالبنزين على هضبة عالية، وفي الساعة الثانية عشرة قام بإشعالها فأضاءت في ظلام الليل لتعلن لها حبًا نادرًا من نوعه، حبًا قام بانتشالها من عالم الأموات وأعادها إلى أفضل مكان في عالم الأحياء.

أدهم

في أحد الأكواخ الخشبية الصغيرة على البحر الأحمر في منطقة رأس شيطان، جلس أدهم مع ناديا يحتسيان الشاي البدوي في أكواب صغيرة. صوت البحر ليلًا يبدو مرعبًا للواقعيين وجميلًا ملهمًا لأصحاب الأرواح الحالمة. ينظر أدهم إلى البحر حائرًا تائهًا، يود الغوص بداخله والهروب من الألم الذي أصبح جزءًا من تكوينه. قالت له ناديا في محاولة لمداعبته والتخفيف عنه:

- لا أعترض على حزنك، اعتراضي الوحيد هو سبب الحزن، هل يعقل أن تكون مطلوبًا من الشرطة وصورتك ستصبح في جميع الوسائل الإعلامية ثم أجدك حزينًا لتركك فتاة؟

- ليست فتاة يا ناديا.. بل كيان نوراني شكّل لي نقط النور الوحيدة بعد سنوات من الظلام.

- صدقني عندما أقول أعلم تمامًا ما تعنيه، أن تنزلق إلى غيابات الاكتئاب الذي ليس له قاع، ثم يأتي من ينتشلك ويضعك في الجنة وإذ فجأةً تجد نفسك في القاع مرة أخرى.

- اتركي هذا الموضوع الآن.. ما حدث قد حدث ولا يمكن تغييره، ما الذي سنفعله الآن؟

- سنسافر إلى لبنان، تحدثت إلى أقربائي وسيستقبلوننا.
- سيستقبلونك.. ليس لي مكان هناك ولن أصبح عالة على أحد.
- لا تكن سخيفًا أنت أخي إذًا هي عائلتك وأقرباؤك، لن أتركك مهما حدث.
- ولكن الأمر لم ينتهِ بعد.. هناك حلقة لازالت مفقودة.
سكتت قليلًا واستغرقت في التفكير.
- ليس بيدنا شيئًا آخر، فعلنا قدر استطاعتنا، يجب علينا الهروب الآن ثم التفكير في ما سنفعله، لن نفيد أحدًا إذا تم القبض علينا.
- لم يتم إثبات أي شيء عليكِ، يمكنك العودة وممارسة حياتك.
- لا أريد العودة، أريد الذهاب معك إلى عائلتي.
كان بإمكانها البقاء، ولكنها لم ترد تركه وحيدًا، كانت تعامله وتحبه كأخ صغيرٍ، توفي والداه وهي كل ما يملك، عندما كانت تراسل العقيد مانم وأخبرها أن عليه الانصراف لإكتشافه الجاني.. قامت بإخبار أدهم على الفور وسافرا معًا قبل أن تبدأ صورته في الانتشار. لا تعلم كيف عرف، ولكن الأمر لا يهم الآن. مضيفهما في هذا الكوخ هو «الحاج عبد الله المنصور»، أول من بدأ مشروع إقامة أكواخ خشبية وتأجيرها للسياح، أجرت معه مقابلة من قبل، وتوثقت علاقتهما عندما ألقي القبض على أحد أبنائه في القاهرة واستنجد بها.. فقامت ببعض الاتصالات وأخرجته من القسم في نفس اليوم، من يومها وقد أقسم أن رقبته لها إذا طلبتها. لم تطلب رقبته.. ولكنها طلبت منه الاختفاء

من الشرطة ومساعدتهما في عبور الحدود إلى الأردن ومنها سيسافران إلى لبنان، وكعادة أهل البدو أو العرب كان أكثر من شهمٍ معهم، فجهز لهما أفضل كوخ لديه في مكان منفصل بعيد عن أعين بقية السياح وأجرى اتصالاته لعبور الحدود إلى الأردن عن طريق البحر.

في الوقت الذي كانت ناديا تخطط لهروبهما واختفائهما.. كان أدهم لا يهتم بشيء غير فراقه الاضطراري لشذى، يعلم أنه لن يراها مرة أخرى خصوصًا بعدما ترى صورته في الجرائد كمسئول عن جرائم القتل ومطلوب للعدالة. ولكننا لا نختار أحزاننا ولا أقدارنا، لم يكن يدري أن أمره سينكشف، لو علم لربما ترك الأمر برمته وتفرغ للجميلة شذى.

- لماذا لا تتحدث إليها؟

نظر أدهم إلى ناديا باستغراب وقال لنفسه إنها بالتأكيد لا تقصد أن يتحدث إلى شذى.

- إذا كان حبها لك موازيًا لحبك لها.. ستريد أن تسمع منك ما حدث وستضع كلمتك أمام كلمة العالم بأكمله إذا تطلب الأمر.

هل تحبه إلى هذه الدرجة؟ حتى ولو كانت تحبه إلى هذه الدرجة لا يريد أن يعرِّضها إلى ما هو مقبل عليه، إذا كان حبه لها حقيقيًا فلن يقبل بأن تكون موضع شبهات أو تضطر للسفر وترك أهلها من أجله.

- سأرى ما يمكنني عمله.

- أنا على يقين أنها في انتظار اتصال أو رسالة منك تشرح لها ما حدث

أنهت ناديا شُرب الشاي وخرجت من الكوخ. جلس على السرير واضعًا رأسه بين كفيه، دقائق وأمسك حافظة نقوده من على الكومود، أخرج منها المنديل الذي مسحت به شذى دموعها يوم عيد ميلادها، ظل يحدق به.. مستشعرًا الهالة المقدسة التي تحيط بأشياء أحبائنا عندما تنقطع السبل إليهم.

العقيد حاتم

عندما دخل حاتم إلى شقة أدهم وشعر أن الجاني قد هرب.. في سره قام باتهام عساكره سالم وإبراهيم أنهما جاسوسان وقد أخبرا أدهم بمجرد أن عرفا وجهتهم، خصوصًا أن لديهم سابقة في هذا الأمر، أقسم أن يجعلهم يعترفون ثم يلقي بهم في سجن أبدي كي تسلم الشرطة من شرهم ويصبحون عبرة للآخرين. ولكن دخوله إلى الغرفة المغلقة غيَّر تفكيره تمامًا وجعله يغلي من الغضب. وجد الغرفة مليئة بالصور، صور أدهم مع امرأة كبيرة غالبًا والدته، والكثير من الصور القديمة مع شاب يكبره ببضع سنوات، وصورة وحيدة لهذا الشاب مع الأفعى التي أغوته وجعلته يعتقد أنها صديقته.. ناديا.

أمر بجمع جميع الصور وقصاصات الجرائد وأي شيء في الشقة يمكن أن يفيدهم في البحث المستقبلي عن أدهم. وفي ضيق انصرف عائدًا إلى مكتبه مهيئًا نفسه لسهرة طويلة يدرس خلالها جميع المعلومات عن حياة أدهم وقصاصات الجرائد التي ذكرت اسمه كثيرًا مع صورته.

في مكتبه أمر بإحضار كوب كبير من القهوة الثقيلة، وجعل العساكر سالم وإبراهيم وأمين الشرطة فتحي يجلسون أمامه على الكراسي الخشبية في سكون تام ينتظرون أن يحتاج إلى أي شيء يلبونه له. بدأ

بمطالعة قصاصات الجرائد التي أخذها من حائط الغرفة المغلقة في شقة أدهم، جميع القصاصات تتحدث عن نفس الموضوع، تحتوي على صورة صغيرة ٤*٦ لأدهم.. يبدو وسيمًا وهو يبتسم نصف ابتسامة، كتب تحتها:

"وفي مسلسل تردي المجتمع المصري وغياب الأخلاق، لدينا اليوم شاب لم يتعدَ الواحدة والعشرين من عمره يقتل أخاه الأكبر، طريقة القتل لم تتضح بعد ولكن الشرطة وعدت أن تعلن عنها قريبًا. وقال مصدرنا أن السبب هو اختلاف في الميراث بعد الكثير من السنوات من وفاة والدهما. يذكر أن الأخ المتوفي قد تخرج حديثاً في كلية الإعلام وتنبأ له الكثير من زملائه وأساتذته بمستقبل باهر إثر تدريبه في العامين الماضيين في أحد أشهر القنوات الفضائية. نسأل الله أن ينزل الصبر والسكينة على والدته وعائلته جميعًا".

قرأ سريعًا بقية المقالات وكانت جميعها تتحدث عن الحادثة بكلمات مختلفة. في الصورة التي تجمع ناديا مع الأخ الأكبر يبدوان سعيدين وفي علاقة، لماذا إذن تساعد أدهم قاتل حبيبها كما يفترض؟ الآن وقد أمسك طرف الخيط بيد من حديد سوف تتضح الأمور ولن يترك هذه القضية التي سيطرت على حياته إلا بعدما يوقع بالجميع ويعرف كل خباياها.

يرجع تاريخ هذه القضية إلى بداية العام ٢٠٠٦، بحث عنها ووجد أن الملف محفوظ في أحد الأرشيفات التابعة لوزارة الداخلية، لم يضع

وقتًا وترك مكتبه متجهًا إلى المخزن الذي يحتوي على أوراق هذه القضية. في المخزن لم يرد أمين الشرطة المسئول عنه أن يعطيه الملف وطلب منه أن يحصل على موافقة بالاطلاع عليه، قام بمحادثة رئيسه اللواء فهمي وهبة.. أخبره بآخر مستجدات القضية وبحاجته للاطلاع على أوراق قضية ٢٠٠٦ في أسرع وقت. قال له اللواء أنه سيجري اتصالًا سريعًا للحصول على الموافقة من دون الدخول في تعقيدات وأوراق بيروقراطية.

مرت عشرون دقيقة ووجد الهاتف القابع أمام أمين الشرطة يرن، رفع الأمين الهاتف واستمع لمحدثه بضع ثوانٍ ثم وضع السماعة مكانها، التفت بعدها إلى حاتم وأخبره أنه سيحضر له الملف كاملًا الآن. خمسة وأربعون دقيقة مرت.. كان حاتم خلالها قد حصل على الملف وعاد إلى مكتبه ووضعه أمامه ليفحصه بدقة وتركيز. مرت عشر دقائق كان يقرأ خلالها عن حياة أدهم وأخيه ولم يبدأ في القضية بعد، رن هاتفه وكان المتصل اللواء فهمي وهبة رئيسه المباشر. كان ما سمعه منه صادمًا وغير متوقع.. أخبره أنه تم إعفائه من هذه القضية نهائيًا وأن يتم إغلاقها فورًا، وأكد عليه ألا يتم تسريب أي معلومة للإعلام، وأن هناك تعليمات ستوجه لجميع الصحف بعدم نشر شيء عن القضية أو الحديث عنها.

- ولكن بعض الصحف نشرت صورة أدهم بالفعل على مواقعها الإلكترونية وقالت إن الشرطة عثرت على القاتل المتسلسل..

- لا يهم.. المهم ألا تتسع دائرة الصحف التي تتحدث عن الموضوع ويتم إزالة أي أخبار على المواقع.

- هل لي معرفة السبب؟

- لا ليس لك معرفة السبب، هذا أمر غير قابل للنقاش نفذ من سكات.

لم أغلق الخط، تاركًا حاتم في حالة من شرب مخدر أقوى من قدرته على الاحتمال فأصبح عقله وجسده في حالة شلل.

شذى

استيقظت شذى في الواحدة ظهرًا، وجدت طقس فبراير غائمًا والسحب موشكة على أن تمطر. حاولت أن تهاتف أدهم ولكن هاتفه كان مغلقًا. شعرت بالكسل ولم ترد مغادرة السرير.. فأمسكت الرواية التي أهداها لها أدهم من على الكومود وبدأت في القراءة. كانت رواية "خارطة الحب" لأهداف سويف، تحكي عن امرأة في التسعينات وجدت مذكرات ورسائل والدة جدتها الإنجليزية في العام ١٩٠٠، تحكي المذكرات عن قصة حبها وزواجها من أحد البشوات المصريين، وانخراطها في السياسة معه ودفاعها عن القضية المصرية ضد الاحتلال الإنجليزي.

أخذت شذى تفكر أن ما أشبه الواقع بالماضي، منذ قرنٍ مضى كان الحاكم أجنبيًا مستبدًا يستغل خيرات مصر لمصالحه ومصالح بلده الشخصية ولا يحصل المصريون غير على الفتات، الآن من يحكم هم المصريون.. ولكن الوضع لم يتغير، يستغل الحاكم خيرات الوطن لمصلحته ومصلحة أعوانه الشخصية ويحصل المصريون على أقل القليل من الفتات الذي أوصل نسبة من يعيشون تحت خط الفقر إلى ٢٥%.. ومن يعيشون على هامش خط الفقر إلى ٤٠%.. أي ما يزيد عن

خمسة وثلاثين مليون مصري، رقم مرعب ويعتبر أكثر من سكان الكثير من البلاد. إذا فاض الكيل بهؤلاء الفقراء في أحد الأيام وقاموا بثورة جياع ستكون حرب أهلية تسبح فيها الجثث في بحور من الدماء. سيذبحوننا في منازلنا.. هكذا فكرت شذى.

سمعت طرقًا على باب غرفتها، وفي سابقة أولى من نوعها وجدت أقرب صديقاتها شيري أمامها. بعد الأحضان والقبلات على الخدين.. لاحظت شذى شحوبها وسألتها ما الأمر.

- أريدك أن تهدئي ولا تنفعلي.. سأريك شيئًا صعبًا..

أخرجت شيري من حقيبتها جهاز الأي باد. فتحته وأعطته لشذى. وكما هو متوقع بعدما قرأت خبر اكتشاف القاتل المتسلسل وفوقه صورة واضحة لأدهم.. انهارت باكية وبدأت يداها في الارتعاش، وعلمت لماذا جاءت شيري لزيارتها من دون مهاتفتها أولًا. مرت خمس عشرة دقيقة.. شذى تبكي بحرقة وشيري تربت على ظهرها وتضع ذراعها حول كتفها في محاولة تعلم جيدًا أنها فاشلة لمواساتها. بعد قليل هدأت شذى قليلًا واستطاعت توجيه بعض الكلمات لشيري.. سألتها هل ما قرأته صحيح؟

- فور أن قرأت الخبر ذهبت مباشرة إلى منزله الذي علمت عنوانه منك من قبل، وجدت الشرطة قد حاصرته تمامًا ومنعت التصوير والدخول إلى المبنى، فعلمت أن الأمر حقيقي.

- ككيف.. ما ما الذي يحدث.. أستطيع تخيل الهجر والخيانة واللامبالاة والغرور أو حتى الجنون المطبق.. ولكن القتل؟ هل أصبحت حياتي فيلمًا سينمائيًا؟

- ليس خطأك يا صغيرتي، يجب أن نحمد الله أنه تم اكتشافه قبل أن يؤذيك. أدعو الله أن يتم القبض عليه سريعًا.

كان يومًا عصيبًا للفتاتين، وقفت شيري بجانب صديقتها وقفة لن تنساها لها مدى الحياة. حاولتا البحث عن أخبار أخرى تتحدث عن الجرائم ولكنهما لم تجدا، حتى الخبر الذي قرأتاه وجدتا أنه قد تمت إزالته في الليل. من أفضل الأشياء التي فعلتها شيري مع صديقتها.. أنها بذلت جهدًا خرافيًا حتى لا تعلم والدة شذى بحزنها وبكائها، أمضتا اليوم بأكمله في غرفة شذى، كانت شيري تذهب إلى المطبخ لتحضر الطعام وأكواب المشروبات الساخنة ثم تعود وتغلق الباب خلفها، حتى عندما أصرت والدتها على الدخول إلى الغرفة قامت شيري بوضع بعض المكياج على وجه شذى حتى لا تبدو وجنتاها منتفختين وأسفل عينيها أسود اللون من كثرة البكاء. أصرت شيري على النوم برفقة صديقتها ولم تتركها وحدها. ارتدت إحدى قمصان النوم الخاصة بشذى فبدت ضيقة على جسدها ولكنها لم تعترض وقالت أنها مريحة. خلدت كلتاهما إلى النوم في حوالي الواحدة بعد منتصف الليل، وقعت شيري في النوم في خلال دقائق، وظلت شذى مستيقظة تفكر في شوقها لأدهم الذي تعلم أنها لن تراه مرة أخرى.. والأفضل لها ألا تراه مرة

أخرى. عندما غلبها النوم ظلت الكوابيس تهاجمها طوال الليل، مرة تجد نفسها ليلًا تغرق في منتصف محيط بلا نهاية.. ثم وسط صحراء واسعة تسمع أصوات الذئاب من حولها.. ثم تجد نفسها مع أدهم ترجاه أن يقتلها وهو يرفض. جميع هذه الكوابيس صحبها صوت أغنية كئيبة كانت تحبها فيما مضى.. بدأت مع أول كابوس وظلت تدوي بلا توقف إلى أن استيقظت. كانت الأغنية لفرقة Anathema.. يدوي صوت الجيتار الثقيل خلف كل مقطع مؤكدًا على مدى الحزن الذي ينتاب المغني ذا الصوت الرخيم.

"كيف أنا في أمسّ الحاجة إليك..

كيف أواجه حزني بعدما رحلت..

أراك في أحلامي..

وأستيقظ غارق في الوحدة..

أعلم أنك لم ترد الرحيل..

قلبك يتوق إلى البقاء..

بطريقة ما كنت أعرف أنك ستتركني بهذه الطريقة..

بطريقة ما كنت أعلم أنه ليس بإمكانك البقاء..

في ضوء الصباح بعد ليلة صامتة..

أخذت قلبي ورحلت..

في أحلامي أراك.. أخبرك كيف أشعر.. ألمس جسدك..

وأشعر بأنه واقعي..

لا أزال أشعر بالألم.. لا أزال يأشعر بالحب"

بعد ليلة طويلة لا تريد الانتهاء استيقظت شذى، البياض بداخل عينيها يتخلله لون أحمر ثقيل، أسفل عينيها يوجد سواد شديد ووجنتاها منتفختان. وجدت أن شيري قد استيقظت قبلها وبدلت ملابسها. نظرت إليها فابتسمت وقبّلتها أعلى رأسها.. ثم أخبرتها أن الإفطار جاهز في الشرفة. خلعت شذى قميص نومها وكالمخدَّرة ارتدت ما وقعت عليه عيناها في خزانة الملابس. كان الإفطار بسيطًا ولكن احتوى على أهم مكون.. كوب كبير من القهوة الثقيلة، تحتاج إليه بشدة فهي تكاد لا ترى أمامها إثر الليلة الطويلة التي أمضتها في حضرة الكوابيس.

بعدما أنهتا إفطارهما جلستا تتسامران في مواضيع تافهة.. محاولة منهما لنسيان ما حدث أو تجاهله. جاءت أخت شذى الصغرى وفي يدها ظرف مغلق، أخبرتها أن هناك من طرق الباب وترك هذا الظرف المكتوب عليه شذى وانصرف. بدأ قلب شذى في الخفقان.. أمسكت شيري الظرف، وعندما رأت تغير معالم وجه شذى علمت أنه مُرسَل من أدهم. فما كان منها إلا أن قامت بتمزيق الظرف إلى قطع صغيرة ورمته في القمامة. ثم نظرت إلى صديقتها وهي تبتسم.

انت مدام دعاء كما يناديها تلاميذها في المدرسة من عائلة هادئة وسطة المستوى، أسرة مصرية تقليدية للغاية. تزوجت بعد تخرجها ن آداب فرنساوي مباشرة. حملت بعد شهرين من الزواج وأنجبت طفلها الأول باسم، لم يكمل عامه الخامس وكانت قد أتبعته بأدهم.

افحت حتى لا تترك عملها كمدرِّسة لغة فرنسية في مدرسة خاصة وازن بينه وبين تربيتها لطفليها. وإلى حدٍ كبير نجحت في حياتها. فكانت نهي اليوم الدراسي في الثالثة. تعود إلى المنزل مع طفليها لتحضير لغداء وترتيب المنزل. تنتظر زوجها الذي يعود في الخامسة والنصف ن عمله في أحد البنوك. يتناولون طعامهم ويجلسون أمام التلفزيون بعض الوقت. بعدها تأخذ الولدين إلى النادي، الأكبر يحضر تدريب السباحة والأصغر يلعب في منطقة الأطفال.

ظلت حياتهم على هذه الوتيرة إلى أن ابتلاهم الله بوفاة الأب نتيجة مرض نادر تأخر اكتشافه. وتحول راتب مدام دعاء من الدخل الثانوي للأسرة إلى الدخل الرئيسي. فمعاش زوجها الراحل لم يتعدَ بضعة مئات من الجنيهات. لم تقتصد في أي مصاريف خاصة بولديها. فلم تقم بنقلهما إلى مدارس بمصاريف أقل، ولا قامت بتغيير نوعية الأكل

في المنزل، وزادت مصروفهما اليومي حتى لا يشعرا بأي فرق، وداوما على شراء لعبهما الإلكترونية من النينتندو إلى البلايستيشن والكمبيوتر.. والملابس غالية الثمن.. والتدريب في النادي.. والفسح كل جمعة والسفر صيفًا إلى الساحل كما اعتادا مع والدهم. ولتحقيق هذه المعادلة اضطرت إلى أمرين، الأول أن تقتصد في مصاريفها الشخصية. فجميع المقربين من مدام دعاء بلا استثناء لاحظوا التحول في ملابسها التي غلب عليها طابع الرخص، ووجهها الذي خلا من الماكياج الخفيف التي اعتادت وضعه. حتى العطر المميز لها هجرها عن طيب خاطر. الرف المليء بكريمات ومرطبات للبشرة في الحمام أصبح فارغًا وبان أثره على بشرتها التي ظهر فيها معالم التقدم في السن والخشونة واضحًا جليًا. وأصبحت لا تخرج برفقة أصدقائها كل سبت في أحد الكافيهات كما اعتادت.

الأمر الآخر هو إعطاء دروس خصوصية لتستطيع توفير مصاريف أولادها. فتحول يومها من الساعة الرابعة إلى الثامنة إلى الجلوس على طاولة السفرة مع ثلاثة أو أربعة طلاب تشرح لهم دروس اللغة الفرنسية، بعدها تتجه إلى النادي مع باسم وأدهم ليلحقا بتمرين السباحة. وتحولت أيام العطلة الأسبوعية الجمعة والسبت إلى أربعة أو خمسة دروس متتالية بدلًا من الراحة والخروج للترفيه عن عمل الأسبوع.

استمرت حياة مدام دعاء من دون أن تشتكي، وكان سلواها الوحيد هو رؤية ولديها يكبران أمام أعينها وهما سعيدان لا يحتاجان إلى أي شيء. وكانت أسعد لحظات حياتها منذ ليلة زفافها وقت تخرج باسم من المدرسة ودخل كلية الإعلام مصحوبًا بأحلام الشهرة والنجاح. بضعة أعوام وتبعه أدهم لتكتمل فرحتها وتطمئن على مستقبل أبنائها الذين أنفقت سنوات شبابها عليهما عن طيب خاطر. بقيت مرحلة وحيدة في حياتها انتظرتها طويلًا واعتادت أن تنتابها أحلام يقظة حولها.. وهي رؤية ابنيها مع زوجاتهما ينتظران الأحفاد الذين سيملأون حياتها نورًا وبهجة لا نهائية بأجسادهم الصغيرة وضحكاتهم الصافية.

رغم فرق السن الذي يبلغ خمس سنوات بين أدهم وباسم إلا أنهما كانا مقربين للغاية. فأدهم كاتم أسرار باسم وبمثابة الصديق المقرَّب الذي يحكي له ما يحدث معه مهما كان غريبًا. في إحدى المرات كان باسم واقعًا في غرام فتاة لعوب حذره الكثير من أصدقائه منها، وبعد أن اعترف لها بحبه ذهبت إلى الطاولة التي يجلس عليها أصدقاؤهم في النادي.. وأخبرتهم بسخرية أن باسم يحبها ويبدو أنه قد جن ليعتقد أن بإمكانه مصادقتها، احمرت أذنا ووجه باسم وأصبح بلون الدم من كثرة الخجل، رأى أدهم أخاه ومثله الأعلى على هذه الحالة. فذهب إلى حديقة الأطفال واستعار دلوًا من طفل صغير، ملأ الدلو بالوحل، ووقف خلف الفتاة وقام بسكب الدلو فوق رأسها حتى آخره.. أصبح شعرها ووجهها وملابسها مليئون بالوحل. ضحك الجميع وكأنهم

سعيدون لانتقام باسم الذي يحبونه جميعًا وزال حرجه بعد تعرُّضها لموقف أكثر إهانة.

باسم هو ظهر أدهم في النادي والمدرسة والشارع، فنحافة أدهم الواضحة جعلته مطمعًا للأولاد ثقيلي الظِل الذين يبحثون عن أحد الصبية ليصبح تسليتهم عن طريق ضربه والسخرية منه، ولكن فور معرفتهم أنه شقيق باسم يبتعدون عنه فورًا، وأصبح يُعرَف بِاسْم "شقيق باسم" أكثر من أدهم وكان هذا يسعده.

بعد دخول باسم الجامعة دخل أدهم في حالة اكتئاب بسبب بُعد شقيقه عنه للسنة الأولى، حاول باسم كثيرًا التسرية عن شقيقه فأصبح يصطحبه في جميع خروجاته مع شلته حتى مع فارق السن بينهم، تقبل جميع أفراد الشلة وجود أدهم بينهم وعاملوه كصديق رغم فارق السن إكرامًا لباسم. لا تطمئن والدتهما على أدهم إلا وهو في رفقة باسم لثقتها الكبيرة فيه، وأثلج قلبها قربهما الشديد وتآلف قلوبهما فليس لهما غير بعضهما في هذا العالم وهي لن تعيش إلى الأبد.

أدهم

لم يكن يعلم أن الحب بهذا الإجرام، بعث إلى شذى رسالة كانت
بالنسبة له طيف أمل في رؤيتها مرة أخرى، ولكن بعدما مرت أربعة
أيام على تلقيها الرسالة من دون أي رد فعل.. أيقن أنه فراقٌ بينه
وبينها. يحاول النوم في سريره الخشن بداخل الكوخ الخشبي، صوت
الأمواج في الخارج يخلق جوًا شاعريًا يزيد من حزنه، مشاعره أصبحت
كرواية لا يستطيع الكاتب السيطرة على أحداثها. أحيانًا يفكر أن يقوم
بتسليم نفسه والتوقف عن الهرب إذا كان يضمن أن تزوره شذى..
ولكنه يعلم أنه الفراق، ففتاة مثلها لا تستحق أن ترتبط بقاتل.
أدق التفاصيل التي اعتاد أن يتعامل معها بلا اكتراث أصبحت تشكل
له أحلام يقظة لا نهائية، يدها الرقيقة وهي تمر بجانب وجهها لتثبت
شعرها خلف أذنها، عندما تكور شفتها لتنفخ في كوب القهوة
الساخن، رغبتها الشديدة في إمساك يده طوال فترة جلستهما معًا،
الدبق الذي يشعر به في كل مرة تقبِّله على خده بسبب الروج الذي
تضعه، بقع الألوان التي تظل عالقة بكفها بعد انتهائها من الرسم،
الأساور الكثيرة التي تحرص على ارتدائها في ساعدها، ابتسامتها التي
تجعلها كطفلة كبيرة تحب الحياة. ليلة وحيدة تفصله عن البقاء في

مصر، بعدما تشرق الشمس ببضع ساعات سيركب مع ناديا القارب الذي سيقلهما إلى الأردن، قامت هي بترتيب كل شيء ولم ترد أن تتركه ليتها تعلم أنه أصبح لا يهتم ولا تبذل من أجله كل هذا الجهد.

أيقظته ناديا في العاشرة صباحًا، أخبرته أن يعد نفسه لأن المركب ستنطلق بعد ساعتين فقط. بعدما اغتسل وبدَّل ملابسه، خرج من الكوخ ووجدها جالسة أمام البحر على كرسيٍ من الخوص، أمامها طاولة تحتوي على ثلاثة جرائد.

- هل من جديد؟

سألها أدهم.

- شيء غريب، لم يتم ذِكر أي خبر ولو صغير عن الجرائم وعن اكتشافهم الفاعل، رغم أن صورتك نُشِرَت على أحد مواقع الإنترنت الإخبارية.. لا يوجد أي شيء في الجرائد الورقية. هذه الجرائد الثلاث من أكثر الجرائد التي تحدثت عن الجرائم وضرورة إيجاد القاتل، الآن وقد وُجِدَ الفاعل لا حس ولا خبر، لن تفشل هذه البلد في مفاجأتي مهما رأيت أو اكتسبت من خبرات.

لم يعلق وجلس بجانبها كأن الأمر لا يعنيه.

- كيف هي الحياة في لبنان؟

- لبنان بلد جميل وصغير للغاية، مزقته الحروب الأهلية وتعدد الطوائف والأديان، ولكن روح الفن وحب الحياة لا زالا عالقين في نفوس الناس، النساء يحبَّن السهر والرقص ليلًا والجلوس في الشرفات

صباحًا يدخنَّ الأرجيلة ويشربن القهوة. الرجال يفكرون دائمًا في الهجرة ولا يقدِّرون الجمال الذي حبا الله بلدهم به. الشباب يعشقون الجلوس على البحر والتوغل في الرومانسية مع حبيباتهم. رغم تعدد الطوائف والأديان إلا أن شيئًا مشتركًا يجمعهم.. وهو الرغبة في أن يصبح كل شيء جميلًا. الملابس جميلة والأجساد جذابة متناسقة والروائح دائمًا عطرة.

- بعد كل هذا لماذا لا تعيشين هناك؟

- أنت تعرف السبب.

كان يعرف السبب فعلًا. ولكنه نسي أو تناسى وكأنه يريد أن يمحو شيئًا من ذاكرته. مضت الساعتان سريعًا ووجد أدهم نفسه يحمل حقيبته ويصعد على ظهر المركب. بعدما قاما بتوديع وشُكر الحاج عبد الله المنصور على استضافتهما ومساعدتهما في السفر.. وبعدما رفع القبطان المرساة استعدادًا للانطلاق.. ترك أدهم المركب وقفز عائدًا إلى الرصيف. ركض متجهًا إلى نقطة بعيدة في آخر الميناء. تقف عندها فتاة ذات شعر بني طويل يصل إلى كتفيها ووجه ذو بشرة برونزية صافية يتوسطه عينان عسليتان. لا تحمل أية حقائب وتضع كفيها في جيوب معطف أسود طويل يصل إلى أسفل خصرها. تحته بنطلون جينز ضيق يعلو حذاء ذو عنق طويل يصل إلى ركبتيها. رغم الأناقة الواضحة في ملابسها وجمالها الملحوظ.. إلا أن وجهها يبدو مجهدًا وهناك انتفاخ أسود اللون تحت عينيها. عندما وصل إليها أدهم لم يدرِ

ما يفعله سوى أنه جثا على ركبتيه ناظرًا إلى الأرض.. كطفلٍ ينتظر العقاب من أمه. مضت ثلاثون ثانية على هذا الحال، بعدها انفجرت شذى في البكاء ووقف أدهم يريد أن يأخذها في حضنه وفي نفس الوقت خائف أن تصده باعتباره قاتلًا.. لم يفكر أنها إذا كانت تفكر فيه كقاتلٍ لم تكن لتأتي إليه.

شُلَّت حركت أدهم وظل في مكانه لا يتحرك، جاءت ناديا خلفه وهي تركض.. بعدما فطنت أن الواقفة أمامه هي شذى أخبرت الحاج عبد الله أنهم سيؤجلون سفرهم قليلًا، بابتسامة رسمتها جيدًا على شفتيها لبعث الطمأنينة في نفس شذى أخذتها من ذراعها كأنهما أصدقاء قدامى.. وذهب ثلاثتهم إلى أحد الأكواخ الخشبية في جلسة كان التوتر في الجو فيها أكثر من الأكسجين.

بصوت خفيض ضعيف قال أدهم:

- احتجتِ إلى أربعة أيام حتى تحسمي أمرك.

بصوتٍ باكٍ أجابت:

- لم أحتج غير لحظة واحدة.. عندما رأيت الظرف المغلق علمت أنه منك، كل ما في الأمر أن صديقتي قامت بتمزيقه فاحتجت إلى يومٍ كامل كي أعيد ترتيب عشرات الأوراق الصغيرة وأفهم المكتوب، بالإضافة إلى الترتيبات الكثيرة حتى أقنع أمي أنني سأسافر يومًا بأكمله ولا أعلم متى سأعود. وددت لو اصطحبت شيري معي ولكن لم أرد أن أقحمها في...

ولم تستطع إكمال الجملة.

- سأخبرك كل شيء.. كل شيء بلا استثناء، سأسافر بعدها إلى لبنان ولن أزعجكِ مرة أخرى.. لا أطلب منك الصفح.. كل ما أطلبه هو بعض التفهم والتصديق.

- لهذا أتيت. أريد تفسيرًا ولو غير حقيقي، لقد طعنت منطق الحكم على الناس لدي في مقتل. سأصدِّق ما تقول أيًا كان فقط حتى أكمل العيش بطريقة شِبه سوية ولا أودع في مصحة نفسية.

كل هذا وناديا صامتة، محترمة حُرمة العشاق عندما تسوء الأمور بينهم. بعد صمت دام لدقيقة.. بدأ أدهم الكلام.

بدأ الأمر في ليلة رأس السنة لعام ٢٠٠٦. كنت أحتفل مع أخي وأصدقائه في منزل زميلهم في الجامعة، كان يومًا جميلًا أنهيناه في الساعة الثانية صباحًا. ركبت بجانب أخي في سيارته الصغيرة وانصرفنا عائدين إلى المنزل. تجادلنا كثيرًا خلال الطريق، كنت غاضبًا منه لأنه منعني من شُرب أو تجربة أي نوع من أنواع الخمر والبيرة الكثيرة التي كانت تملأ الحفل، قال إنها محرمة.. وأنني إذا ثملت وارتكبت أي خطأ فلن يرحمني الناس، ثم أشعل كاسيت السيارة ليدوي الصوت المميز لكات ستيفنز يقول Oh Baby Baby It's a wild world.. وظل يغني معه باستمتاع ثم قال لي: هل ترى.. إنه عالم قاسٍ لن يرحمك فيه أحد، ابتعد عن مُذهِبات العقل حتى لا تؤذي نفسك ومن حولك.

ثم حدثت لحظة الصدام التي تبعها سواد إجباري لبضعة ساعات. لحظة مرت علي كألف عام مروا بالتصوير البطيء. صدام المعدن الذي تبعه طيران السيارة وانقلابها بضعة مرات قبل أن تستقر على جانبها وتصبح كعلبة كوكاكولا دهست تحت أرجل صبية يلعبون. أذكر اللحظة التي سبقت الصدام، أرى سيارة لاندكروزر كبيرة تسير على الطريق السريع في الاتجاه الخاطئ. يفقد سائقها التحكم بها ويتجه صوبنا بطريقة مستحيل تفاديها.

عندما استيقظت وجدت نفسي راقدًا في سرير إحدى المستشفيات والكثير من المحاليل تخترق ذراعي. حاولت التحرك فشعرت بآلام مستحيل تجنبها فسكنت مكاني منتظرًا أن يأتي أحد لأسأله عمّا حدث وعن حالتي. بعد قليل دخلت ممرضة قصيرة ممتلئة الجسد قليلًا. في صعوبة سألتها عن أخي. بصوتٍ حزين متعاطف قالت لي البقاء لله. لم أكن أتخيل أن أفقد أخي ولا أملأ الدنيا صراخًا وعويلًا وأقوم بتكسير أي شيء يقع تحت يدي.. كل ما استطعت عمله هو ذرف دموع ساخنة وأنا أنظر إلى السقف ورأسي ثابت مكانه لا يتحرك. كان جسدي من الداخل يئن وتكاد أوصالي أن تتقطع من الحزن العاصف والضياع الذي شعرت به. ولكن لم أستطع التعبير عن الملحمة التي تحدث بالداخل غير بدموعي التي لم أجد من يمسحها من على وجنتي..

مضت أيامي في المستشفى ماسخة متشابهة. فبعد باسم لا يوجد حياة. كانت الممرضات يتعاقبن على غرفتي ولا أتحدث إلى أي منهن.

السؤال الوحيد الذي ألححت عليهم به هو ما الذي حدث لسائق العربة الأخرى وما الذي سيفعلونه معه؟ أجابوا جميعًا بعدم علمهم وأن مهمتهم هي الاهتمام بصحتي فقط. أخبرني الطبيب أن لدي كسر بعظمة الترقوة وفي الحوض وفي بضعة أضلع وبإحدى الفقرات العنقية، هذا غير الجروح والسحجات الغائرة التي ملأت جميع أنحاء الجسد. لم أهتم، فماذا يضر الشاة سلخها بعد ذبحها. كان تفكيري متمحور حول سائق السيارة الأخرى، وددت لو يعرف كيفية الشعور بالموت ثم الاستمرار بالتنفس والتفكير.

لم أكن أحسب الوقت ولا أعلم التاريخ أو الساعة، وكأنني في القبر وقد تحول الوقت إلى العدم. بعد فترة من الزمن لا أعلم مقدارها، وجدت الطبيب يدخل غرفتي وخلفه ضابط شرطة يحيط به خمسة عساكر، أخبرني الضابط أنني متهم بقتل أخي.. والكثير من الكلام الذي لم أسمع منه شيئًا إثر الصوت العالي للصدمة التي تلقيتها في رأسي. بعد عدة أيام أصابني خلالهم شلل نفسي وفقدت القدرة على النطق.. جاءت قوة من الشرطة لتخبرني أن تهمتي بقتل أخي قد تم إثباتها وحُكِمَ عليَّ بالحبس عشر سنوات. بالتأكيد صرخت إلى أن كادت حنجرتي تتمزق أنني بريء ورويت ما حدث ولكن لا حياة لمن تنادي، وكأنني مجنون يهذي ويحذر من هجوم الكائنات الفضائية.

لا أعلم حقيقةً كيف تم الأمر، كل ما أذكره أنني وجدت نفسي داخل أحد السجون وسأمضي بداخله عشر سنوات على شيء لم أرتكبه.

ليس فقط لم أرتكبه ولكن لجريمة أصابتني ودمرتني أكثر من أي شخص آخر، وفيما يبدو أنني من سيدفع ثمنها. كان مأمور السجن طويلًا وشديد النحافة، لديه شارب ثقيل يغطي شفته العليا، رغم جسده النحيل لديه نظرة ثاقبة تجعل العساكر يقفون حوله في خوف منتظرين أوامره حتى يركضوا لتنفيذها. وقفت أمامه بصعوبة نتيجة الكسور التي تملأ جسدي ولم أشفَ منها بعد، قال أشياء كثيرة عن الالتزام وأن الجميع لديه سواسية وحذرني من مخالفة الأوامر. قادني العسكري إلى زنزانتي، كانت عبارة عن غرفة ضيقة جدرانها رمادية اللون كالأسمنت، تحتوي على سريرين يقعون فوق بعضهم ومرحاض مكشوف.

داخل الزنزانة وجدت رجلًا نائمًا على السرير السفلي، ذهبت إلى السلم وصعدت إلى أعلى، وأنا في طريقي للصعود استيقظ الرجل، همهم أنني السجين الجديد، لم ألتفت إليه وواصلت الصعود، رقدت على السرير الخشن وحاولت النوم، ولكن كانت من أكثر اللحظات التي كرهتها.. عندما تحولت صدمتي إلى دموع نزلت على الوسادة كالمطر، وشعرت بالألم يزلزل كياني من الداخل كصاعقة ضربت شجرة وحيدة في صحراء واسعة.

استيقظت على صوت زميلي في الزنزانة، بصوت جهوري أمرني أن أنزل إليه، كالمنوم مغناطيسيًا نزلت الدرجات ووقفت أمامه. كان متوسط الطول أسمر البشرة ولديه وجه غليظ مليء بالندوب، لم يتكلم في

البداية، وضع ظهر أصابع كفه الأيمن بأظافره القذرة على وجنتي وقام بالتمليس عليها، في سرعة أبعدت يده، ابتسم ابتسامة مقززة ظهرت معها أسنانه الصفراء المائلة للسواد.. أسنان نخر فيها السوس وقضى على الكثير منها، وقال لي صبرًا أنت لم ترَشيئًا بعد، وسبقني إلى صالة الطعام. ذهبت خلفه لتناول الغداء، كان مكونًا من طبق عدس بارد ورائحته نتنة، أخبرت أحد العساكر أن الطعام فاسد فظل يضحك بصوت عالٍ إلى أن دمعت عيناه. لاحظت زميلي في الزنزانة أسمر اللون وهو يجلس كأحد الملوك في منتصف إحدى الطاولات والكثير من المساجين يحيطون به.. وكأنه مدرس يشرح لتلاميذه ليلة الامتحان.

عندما عدنا إلى الزنزانة نظر إليَّ الزميل الأسمر، وبنظرة شبقة أخبرني أنني ساكون عروسه هذه الليلة، بصقت على الأرض، وفي لمح البصر وجدته قد ركلني بين قدمي وسقطت على الأرض متألمًا. أخذ يركلني في ضلوعي المكسورة فانقطعت أنفاسي وكاد أن يغمى علي من الألم، أمسكني من شعري وقال لي لا أحب الزوجة المتمردة، إما أن نعيش معًا بسلام أو سيقوم بتكسير عظامي يوميًا. بعد نصف ساعة استطعت النهوض.. شعرت بآلام جسدي كألف صاعقة وألف سيف، وجدته نائمًا وصوت شخيره يجعلك تود الاستفراغ، ذهني مشوش، الشيء الوحيد الذي رأيته مضيئًا كطريق للخلاص هو الموس بجانب سريره، إذا عاد بي الزمن لأمسكت الموس وذبحته، ولكن وقتها لم أكن أملك القدرة، أمسكت الموس ومن دون أي تردد أحدثت قطعًا غائرًا في

شريان يدي اليسرى، تدفق الدم الأحمر القاني سريعًا.. وفي رؤيته شعرت بلذة المنتقم.. وكأنني أعاقبهم عن طريق انتحاري، دقيقة وبدأت الرؤية في التحول إلى الأسود إلى أن غامت تمامًا.

استيقظت في مشفى شديد القذارة علمت أنه تابع للسجن، أخبرني الطبيب أن إنقاذي كان معجزة وقد كُتِب لي عمر جديد، قلت له لا أريد هذا العمر وسأفعلها مجددًا، نظر إليّ متفهمًا وكأنه واجه موقفًا كهذا من قبل، بعد قليل زارني مأمور السجن، تكلم فتحرك شاربه الذي يغطي شفته العليا تمامًا، أخبرني أنني كدت أن أضعهم في مصيبة ولكن ربنا ستر، ثم قال إنهم سيضعونني في زنزانة مع رجل عجوز طيب لا يؤذي بعوضة، وإذا واجهت أي مشكلة يجب عليّ إعلامه ولا أحاول الانتحار مرة أخرى، حاولت عبثًا إخباره أنني بريء ولكن صوت ضحكه والعساكر الذين معه طغى على صوتي، وقال إن الجميع هنا أبرياء.

للمرة الأولى ظللت أفكر بسائق السيارة الأخرى، كيف يعيش في النعيم وأتلقى العقاب مكانه، وكأن نواميس الكون أصابها العمى وأصبحت تتخبط ولا تدري من الظالم من المظلوم. بضعة أيام في المشفى ثم تم نقلي إلى زنزانتي الجديدة، كان زميلي رجلًا عجوزًا ذا وجه أبيض ولحية طويلة تصل إلى صدره، علمت فيما بعد أنه كان قسيسًا تم الحكم عليه بالسجن المؤبد، عندما كنا في صالة الطعام ناداه أحد السجناء ساخرًا "يا أبووونااا"، الجميع ينظر إليه كمن حاول التجارة بالدين

فشلت تجارته، ولكنني أدرى من أي شخص آخر أن السجن لا يعني أنك مذنب. يتلقى سخرية من الكثير من المساجين، ولكن جميع العساكر يعاملونه باحترام ووقار، ولو لم يكن ذو خُلق لما وضعني معه المأمور بعد محاولتي للانتحار.

أمضينا بضعة أيام لا نتحدث تمامًا، وفي إحدى الليالي كنت أحلم أنني سقطت من على السرير، وتحولت أرض الزنزانة إلى رمال متحركة ابتلعتني داخلها فسقطت إلى الطابق السفلي ثم إلى باطن الأرض، ضاق نفسي وأنا أحس بطعم التراب في فمي وعلى أنفي يمنع عني الهواء، وقتها أيقظني «ميلاد» كما علمت اسمه فيما بعد. أخبرني أنني أرفض الواقع ولكن الله ينزل علينا سكينة، وأنه إذا أخبرت شخصًا ما بأنه سيفقد كل ماله غدًا.. سيتمنى الموت، ولكن بعد فقده سيتأقلم ويشعر أنه لم يملكه يومًا. ظل مستيقظًا بجانبي يومها ولم يخلد إلى النوم، وفي الصباح تحدثنا للمرة الأولى، الكلمة الأولى التي نطق بها كانت "أنت بريء".. ولكن الله يختبر عباده، وحكى لي قصة سيدنا يوسف كاملة، وقال لا يوجد من هو أفضل من سيدنا يوسف عليه السلام وقد ابتلاه الله بالسجن لسنوات. كانت المرة الأولى التي أشعر فيها بنفحة صغيرة من السكينة بعدما أمضيت أيامي السابقة في التخطيط للانتحار مرة أخرى.

بعد هذه الليلة أصبحنا نتحدث بالساعات، حكى لي عن حياته السابقة في قريته بالصعيد، أخبرني عن مقاطعة جميع أهله وأصدقائه

له بعد دخوله السجن ما عدا زوجته ماري التي تزوره بصفة مستمرة وتعطيه دائمًا طاقة نفسية تجبره على الشعور بالسعادة رغم الجحيم المسمى بالسجن. سألته مرارًا عن سبب سجنه ولكنه رفض بإصرار إخباري، لم أرد مضايقته فتوقفت عن السؤال. أمضينا مئات الساعات في الحديث عن حياة كل منا، أخبرته ما حدث معي بالتفصيل وأراحتني رؤية التصديق في عينيه، حكى لي الكثير من سير الصالحين الذين ظُلِموا في الدنيا، أكثر من هذا أعطاني الكثير من الكتب لقراءتها.. فإحدى المميزات التي حظى بها هي السماح له بطلب أي كتاب يريده.

لم أتلقَ أي زيارات من أصدقائي وأقاربي، زارتني أمي مرة واحدة وكادت أن تُصاب بالعمى من كثرة الدموع التي ذرفتها، امتنعت بعدها عن القدوم. الوحيدة التي داومت على الزيارة ولم تقطعها طوال فترة السجن هي ناديا.. خطيبة أخي باسم. في العام الأول من السجن كنا نبكي معًا طوال مدة الزيارة، نتحسر على فقدان أحب الناس إلى قلبينا وندعو له بالمغفرة. أخبرتني أنها حاولت زيارة والدتي ولكنها رفضت الزيارة، قالت لي إن والدتي لا تقابل أحدًا وبدأت بالتردد على طبيب نفسي بعدما أوشكت على فقدان عقلها، قال الجيران أنهم يسمعون صوت صراخها ليلًا بلا انقطاع. بعد العام الأول تلقيت من ناديا القشة التي قصمت ظهر ما تبقى مني، توفيت والدتي الحبيبة عن

ق توقف مفاجىء لقلبها.. لا يعلمون هل هو موت طبيعي أم أن
وية المضادة للاكتئاب هي التي أودت بحياتها.
هذا الخبر لم أعد أبكي مع ناديا في وقت الزيارة، بدأت الدموع
شع من أعيننا ويظهر مكانها الطريق الوحيد الذي كُتِبَ علينا أن
لكه. بدأنا بوضع أسماء من اشتركوا في هذه المهزلة التي جعلت
اتل حرًا طليقًا ووضعتني مكانه، استطعنا الوصول إلى ثلاثة
ماء، الضابط الذي قام بتحرير محضر بتاريخ قديم بأنني سرقت
سيارة "التويوتا اللاندكروزر" التي صدمتنا.. ثم محضر آخر بأنني هو
ئق هذه السيارة وقت وقوع الحادث، ثم المحامي الذي جمع
ادات مزورة بأنني على خلاف مع أخي على الميراث وأنني غادرت
حفلة قبل أخي بنصف ساعة راكبًا السيارة التويوتا اللاندكروزر،
يرًا القاضي الذي طبخ هذه القضية مع شريكيه وأصدر الحكم
اني، ولكن إلى الآن رغم الكثير من المحاولات لم نستطع معرفة من
سائق السيارة الأخرى.. لا نعرف حتى هل مات بعد الحادثة أم لا.
أحزنني أن شخصًا ما استغل جرائم القتل وقام بتصفية مستشار
ى عيسى محمد العياط بنفس طريقة القتل لإلصاقها بي، هذا
دليل على مستنقع العفن والخراء الذي يسبح فيه هذا البلد.
دما بدأت في التخطيط مع ناديا في خطة الانتقام، بدأت نوعية
كتب التي أطلبها من ميلاد في التغيُّر، وهو لم يتأخر عليَّ في أي شيء
لبه، طلبت منه الحصول على مصحفٍ وإنجيل وتوراة وتفسيراتهم،

آملت أن أعثر في هذه الكتب المنزلة من السماء على تحليل لما أنا مقدم عليه. عندما قرأت آية "من اغتصاب المساكين من صرخة البائسين الآن أقوم يقول الرب أجعل في وسع الذي ينفث فيه" علمت أنها منزلة من أجل أشخاص كالضابط في هذه القضية. تفسيرها هو سماع صراخ الأبرار في ظلمهم وألمهم.. وتدخل الله في الوقت الذي يراه صالحًا.. وصنع الخلاص علانية. وأنا في أمسّ الحاجة إلى الخلاص علانيةً حتى أستطيع النظر إلى وجهي في المرآة.

قاطعته شذى قائلة إن الله سيتدخل في الوقت الذي يراه صالحًا وليس في الوقت الذي نراه صالحًا. رد عليها بأن سبع سنوات ونصف هو وقت طويل للغاية يكون القلب خلاله قد أصبح صدئًا وليس هنالك اختيار الانتظار أكثر من هذا.

قرأت "فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور". وفي الآية الكريمة يشبِّه الله شاهد الزور بالكافر، وهو المحامي الذي شهد زورًا وأتى بأشخاص آخرين لقنهم شهادة زور أخرى. ثم الآية الكريمة "وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل".. واضحة وضوح الشمس ولا تحتاج إلى أي تفسير. لم يحكم القاضي بالعدل في قضيتي، اتخذ الطريق المخالف تمامًا. ومن أكثر الآيات التي رددتها وحفظتها عن ظهر قلب ورأيتها في مناماتي المتكررة هي "ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب". أي أن حق المظلوم بمثابة الحياة بالنسبة له. إذا لم يحصل عليه وكأنه فقد حياته.

قضيت سبع سنوات ونصف في السجن لأن عام السجن بتسعة أشهر
ليس اثنا عشر.. تسعون شهرًا.. ألفان وسبعمائة يومًا من الشعور
يوميًا بحاجة ملحة إلى الإمساك بسكين وتقطيع كل قطعة لحم في
جسدك.. ورؤية الدماء الساخنة تنساب من بينها إلى أن تبدأ في
الجفاف، ولكنك لا تستطيع لأنك لا تقوى على الحركة وذهنك مشوش
بمشاهد لم تتصور أن تحدث في أكثر كوابيسك رُعبًا ورهبة.

ميلاد (القسيس)

من اللحظة الأولى التي رأيت فيها أدهم علمت أنه بريء وسُجِنَ ظلمًا
بالتأكيد معظم من في السجن يعدون أنفسهم مظاليم ولكن أدهم كان
مختلفًا. ليس لدي أي إثبات على ما أقول غير شعوري الذي أثق في
صواب حكمه تمامًا على الناس. كان دائمًا مشتت وزائغ النظر.
أستيقظ في أوقات كثيرة من الليل على صوت بكائه وصراخه "باسم
باسم". أخوه كما علمت فيما بعد. وبعد فترة أصبح يصرخ مناديًا على
والدته التي توفيت في فترة سجنه.

شحذت كل إمكانياتي للتخفيف عنه. استعدت سِيَر الكثير من العباد
الصالحين الذين أمضوا عمرًا كاملًا في الظلم وخلف القضبان، أخبرته
عن صبرهم ورضاهم بقضاء الله. بدأ في التحسُّن رويدًا، فبدأت في
إعطائه كتبًا أفادته كثيرًا وأحب مواضيعها المختلفة التي تجعله يخرج
من عالم السجن أثناء القراءة. الانتكاسة كانت عند عِلمه بوفاة والدته
وفي الأغلب منتحرة عن طريق الأدوية المضادة للاكتئاب. أصبحت
نظراته أكثر حِدَّة وعلمت أن قلبه لن يغفر وسيخطط للانتقام وقت
خروجه. خصوصًا بعد الكتب التي طلبها ورؤيتي للآيات والصفحات
التي نزعها من مكانها ووضعها على الحائط بجانب سريره.

عندما حكى لي قصة دخوله السجن.. تذكرت قراري الذي اتخذته منذ سنوات بعيدة، لم يحدث وندمت عليه، ولكنه يعبر بخاطري في بعض الأوقات متذكرًا زوجتي الحبيبة ماري، الوحيدة التي لم تقاطعني، تركتْ أهلها وقريتها وسكنت أحد الشقق الضيقة في حي شعبي.. فقط حتى يتسنى لها المواظبة على زيارتي.

بدأ الأمر وقت دخول أحد الفتيات إلى غرفة الاعتراف، من الحاجب الذي يحتوي على فراغات ومن صوتها الرقيق توقعت عمرها الذي لم يتعدَ الواحدة والعشرين. بصوتٍ خفيض خائف جاهدت لكي أسمعه أخبرتني بمصيبتها، وقعت في غرام شاب مسلم، تماديا في علاقتهما إلى حد التعامل كزوج وزوجة، أسكرهما الحب وأعماهما عن مجتمع الصعيد الذي يعيشان به وتزوجا عرفيًا. لمدة ستة أشهر يتقابلان خفية في أحد المخازن المهجورة لسرقة ساعات غرام قليلة أدمناها في حياتهما، إلى أن سف الشريط وأعاد القصة القديمة التي تكررت في كل العصور والأزمنة، رآهما أحد الصبية وأخبر عائلتها وهي بالمخزن، وجدت أختها الصغرى مقبلة عليهما، أخبرتها أن عائلتها جن جنونهم وأقسموا على قتلها مع عشيقها.

لم يجد الشاب والفتاة حلًا غير الهروب من القرية ومن الصعيد بأكمله، ذهبا إلى الإسكندرية وأقاما مؤقتًا في منزل أحد أقربائه إلى أن يجد عملًا ويستأجرا بيتًا خاصًا بهم، ولكنها لم تحتمل، لم تحتمل ألا ترى عائلتها مرة أخرى، ولم تحتمل ألا تكمل وحبيبها دراستهما ثمنًا

لحبهما لأنه لا يعجب عائلاتهما. بعد أسبوع من الإقامة في الإسكندرية استيقظت باكرًا وغادرت من دون علمه عائدة إلى قريتها. لم تذهب إلى منزل أسرتها وذهبت مباشرةً إلى الكنيسة للاعتراف وطلب مساعدة القسيس.

بعدما أنهت قصتها سمعوا جلبة في الخارج. خرج ميلاد من مكانه فوجد عائلة الفتاة بأكملها وبعض الأصدقاء المقربين داخل الكنيسة مطالبينه بتسليم الفتاة. كان يعلم أنهم سيقتلونها بعد كشف العذرية أو على أقل تقدير سيقتلون الشاب. أو سيقتلونها ويأتي زوجها للانتقام. للأسف الشديد يعلم أن هناك دماء قادمة. وربما يبدأ ثأر يعلم الله وحده متى سينتهي بين عائلتين واحدة مسلمة والأخرى مسيحية.. سيتبعه فتنة تشتعل نيرانها بسرعة البرق. كسيف قاطع حزم أمره سريعًا وفاجأهم جميعًا.. قال إنه السبب ولا دخل للشاب بما حدث. جاءته منذ أشهر للاعتراف. فأغواها وأقام معها علاقة جسدية. وهو من كان برفقتها في المخزن وقت رآهما أحد الصبية. وقد أخفاها طوال هذا الأسبوع في الكنيسة ولكن اليوم فقط قامت بالتريُّض قليلًا فرآها أحدهم وأخبركم بالتأكيد. ولتأكيد كلامه وضع ذراعه حول كتف الفتاة وقال إنه يحبها وسيغادر معها هذه القرية العفنة.

كانت صعقتهم بما سمعوا شديدة. بكت أمها وتمنت الموت. بدأ الرجال في التخبط. هل يقتلون القسيس. إذا قتلوه سينتشر أمر

الفضيحة وستصبح مادة لزجة تتداولها وسائل الإعلام العاهرة بلا انقطاع حتى تتأكد أن الجميع سمعوا بالأمر. الحل الآخر هو قتلها. ولكن ما ذنبها إذا كان رجل الدين عاهرًا وخدعها بالدين؟ في النهاية هي ابنتهم. قاموا بتقييد ميلاد إلى أن يبتوا في الأمر. عشرات المقترحات والنزاعات حدثت لبضعة ساعات، وفي النهاية قرروا أن يسلموه لأحد الكنائس الكبرى وتركها تتعامل مع الأمر، وإشاعة أنه ترك الكنيسة ليصبح راهبًا في أحد الأديرة وقد أقسم ألا يغادره حتى مماته.

وجد ميلاد نفسه وقد حُكِمَ عليه بالسجن إلى آخر عمره، هو في الخمسين حاليًا، إذا توقع العيش حتى الثمانين فأمامه ثلاثون عامًا للعيش بين أربعة جدران. يقول لنفسه ولزوجته دائمًا.. إذا لم يكن عمره ثمنًا رخيصًا يدفعه راضيًا لحقن الدماء.. فما نفعه كرجل دين. قبل أن يتم ترحيله من القرية تلقى رسالة من الفتاة، أخبرته أن ما فعله فوق قدرات البشر، ولن تسمح بأن تذهب تضحيته هدر.. كما قام بالتضحية بعمره ستضحي بحبها عن طيب خاطر.

مدام دعاء

العمر يمضي بكثير من الأرامل، حتى إذا بلغن سن التقاعد حصدن سعادة سنوات العمل والكفاح من أجل أولادهن وبناتهن، الحلم المشترك لأغلبيتهن هو رؤية الأولاد متزوجين وقد حصلوا على حياة أفضل من حياتهن، ينتظرون الأحفاد ويكافئن أنفسهن على مشقة سنوات العمل الطويلة عن طريق تدليلهم ووضع أنفسهن في مكانة الجدة المفضلة. ولكن بالنسبة إلى مدام دعاء كان الأمر مختلفًا، عملت طوال عمرها لأجل ولديها، أنهى ابنها البكر جامعته وتوقع له الجميع مستقبلًا باهرًا، قام بخطبة زميلته الجميلة التي أحبتها كثيرًا واعتبرتها كابنة لم تنجبها، ابنها الصغير دخل الجامعة بعد مجموع معقول في الثانوية العامة، يفصلها عن سن التقاعد ثلاثة سنوات فقط، قاب قوسين أو أدنى عن حُلمها الجميل الذي رسمته بأظافرها في الحجر. وقتها فقط تم إخبارها أن كل ما عملت لأجله أصبح سرابًا غير موجود ويجب عليها التعايش مع الوضع الجديد.

باسم ولدها الجميل بطل السباحة ذو الجسد الرياضي.. يتعفن الآن في قبره بعد أن رفضوا تسليمها الجثة، متحججين بأمور لم تفهم منها شيئًا ولم تهتم بفهمها. الرفيق أدهم.. من اعتاد أن يهتم بها وقت

مرضها، من كان يغطيها في الشتاء ولا يمكنه النوم قبل الاطمئنان عليها، من يذكِّر أخاه الأكبر بأعياد ميلادها وعيد الأم كل عام، يهاتف صديقاتها في المدرسة ويسألهن عما يمكن أن تكون بحاجة إليه هذه الأيام حتى يكون هديتهما لها. يقبِّل يدها كل يوم كأمر روتيني يفعله جميع الأبناء. لا يمكنها أن تنسى ليلة أن كان في العاشرة، اعتاد أن يربي كتاكيت صفراء صغيرة يحبها كثيرًا ويعطف عليها، في أحد الأيام قام صديق من أصدقاء باسم بوضع فراخ مشوية للكتاكيت مكان الطعام، ظل أدهم يبكي طوال الليل، يقول إن ما حدث للكتاكيت هو "الكانيباليزم" أي أكل نفس النوع.. لا يمكنه تصور أن يحدث هذا حتى مع الحيوانات. الآن هو في سجنه يعلم الله وحده كيف يتعامل مع المجرمين الذين يحيطون به.

لن تنسى اليوم الذي كانت تقود فيه سيارتها الصغيرة عائدة من المدرسة، معها باسم وأدهم يجلسان في الأريكة الخلفية، وقام أحد سائقي النقل خلال وقوفهم في إشارة بمناداتها ب"قشر البيض" نسبة إلى بياضها الشديد، لم تجد غير أبواب السيارة الخلفية قد فتحت ونزل منها باسم وأدهم للعراك مع السائق، كانا صغيرين لم يتعدَ أكبرهما الصف الأول الثانوي، لصغر سنهما الشديد فصل الناس بينهما ولم يفعل السائق ذو الجسد الضخم شيئًا. وبَّختهم على نزولهما وجعلها تشعر بالرعب لما قد يحدث لهما، وأمرتهما بعدم تكرار الأمر.

ولكن في الليل قبل أن تخلد إلى النوم.. بكت فرحة برجالها الصغار هؤلاء الذين انتهت حياتهما الآن.

قاطعها أقاربها تجنبًا الارتباط بأسرة مفككة، أحد أفرادها متهم بقتل الآخر، توقفت عن الذهاب إلى المدرسة.. ولم يحدِّثها أحد كأنهم سعدوا بتوقفها عن العمل وعدم وضعهم في وضع محرج. تمنت الحديث مع أصدقائها الذين قاطعتهم منذ سنين للتفرغ للعمل والدروس وتربية أولادها كأم وحيدة. لم تعد تجيب التلاميذ الباحثين عن دروس خصوصية.. توقفت عن العمل تمامًا فكل ما كانت تعمل من أجله ذهب أدراج الرياح.

كقشة أخيرة حاولت التعلق بها ذهبت إلى طبيب نفسي، فما كان منه إلا أن نكأ جراحها الغائرة بغير قصد عن طريق سكين صدىء.. عندما اتخذ طريق محاولة إقناعها بتقبُّل أن أدهم مجرم وقتل أخاه. عادت من زيارتها الرابعة من عنده ووضعت الأدوية التي كتبها لها أمامها على السرير، تناولت الحبتين اللتين وصفهما الطبيب لها، أتبعتهما بالكثير من الحبات الأخرى.. أملًا في وضع سور أو ساتر على الجزء المتعلق بالذاكرة في العقل. شعرت براحة عندما بدأت الرؤية أمامها تصبح متداخلة، هناك من جثم على عقلها ومنعه من التفكير والتذكر، وظهر أمامها باسم وأدهم يلوحان في سعادة، ثم أتبعهما تدريجيًا سواد غطى على كل شيء.

شذى

كمحيط متلاطم الأمواج لا يعرف لماذا يثور أحيانًا وأحيانًا أخرى يجلس هادئًا مستكينًا تحت الشمس الدافئة. ظلت شذى صامتة بعدما توقف أدهم عن الكلام. الصمت بين ثلاثتهم ثقيل يكاد يأخذ شكلًا ملموسًا يجثم على صدورهم. قطعت شذى الصمت بجملة لا تغني ولا تسمن من جوع ولكنها ذريعة لكسر الصمت المقيت:

- إذن السيدة التي تزورها كل أحد هي ماري زوجة القسيس.

- أجل. هذا أقل ما يمكنني عمله من أجل الرجل الذي أنقذ حياتي.

- هل تنوي تكملة البحث عن سائق السيارة؟

- بالتأكيد. ليس الآن. ولكن الأمر لم ينتهِ بعد.

- مهما فعلت لن تعيد أخاك من بين الأموات. ولن تسترد سنين السجن.

زفر أدهم في ضيق كمن أُجبِر على التحدث في موضوع قُتِلَ بحثًا.

- لم أقتل لأجل الانتقام. من قتلتهم بالتأكيد لديهم شركاء آخرين. حتى ولو لم يكن لديهم شركاء فهناك فاسدون مثلهم خمنوا لماذا تم قتلهم.. أردت أن أرسل إليهم رسالة أنهم ليسوا في مأمن كما يعتقدون. فيفكرون مليًا قبل القيام بأي عمل قد يضر أشخاصًا آخرين. لا يهمني

أن يعرف عامة الناس سبب الجرائم، فقط شركاء الفسدة ومن على شاكلتهم.

- لست مكلفًا من الله بتحقيق العدالة.

- لست مكلفًا ولكنني ظُلِمت.. هُدِرَ حقي ويحق لي البحث عنه واسترداده.

ثم قال بصوت خفيض:

- أعلم تمامًا أنني مجرد نقطة رمل في محيط كبير سرعان ما ستبتلعني الأمواج وسأصبح نسيًا منسيًا كأن لم أكن في يوم من الأيام، أعلم استحالة التأثير في مجتمع أصبح غارقًا في الفساد حتى تشربته مسامات جسده، كل ما أريده هو إحداث شرخ في الجبل الذي تم بناؤه عن طريق الخيانات والمصالح الشخصية والسرقة والاختلاس والظلم والأحكام الفاسدة والأحكام المسيَّسة.. مستحيل هدم الجبل أعلم هذا جيدًا، كل ما أطمح إليه هو ترك شرخ طفيف يعكِّر مزاجهم ويعطيني بعض السلام الداخلي بأنني تركت شيئًا قبل مغادرتي هذه الدنيا.

ثم ودون سابق إنذار بدأ أدهم في البكاء، تبعته ناديا كما كانا يفعلان في الأيام والشهور الأولى لسجنه. قال بصوتٍ متهدج باكٍ:

- تمنيت مرارًا أن أصبح إنسان عديم المشاعر يحيا لنفسه فقط، يموت أخي فأكمل حياتي طبيعيًا كأن شيئًا لم يكن.. أحب وأتزوج وأنجب الأطفال ولا أفكر للحظة واحدة بشقيق روحي الذي أكله الدود تحت الأرض في قبرٍ لا أعلم مكانه. أراه في أحلامي بصفة مستمرة، لا يمر

أسبوع إلا ويكون قد زارني في المنام. أكثر ما يذكرني به هو التفاصيل الصغيرة، كالطعام والأغاني والأفلام والأماكن التي أحبها. كان يحب القراءة، روايته المفضلة هي الحب في المنفى. عندما خرجت من السجن وجدت رواية جديدة للمؤلف تدعى واحة الغروب، بكيت في المكتبة وأصبح المارة ينظرون إليّ كمجنون، ابتعت الرواية لقراءتها إكرامًا لأخي الذي كان ليبتاعها فورًا. وقت قراءة الرواية عاودتني الرغبة في الانتحار مرة أخرى، عندما كان الحكام أتراكًا وإنجليز كنا نُظلَم، الآن والحُكّام مصريون لماذا لا يتغير الأمر؟

ظل بكاء أدهم مستمرًا وكأن جميع الذكريات قامت بزيارته ولا تريد المغادرة. ودت شذى لو تحتضنه.. ولكنها ترددت لوجود ناديا. قالت له في محاولة فاشلة كما يفعل خبراء التنمية البشرية:

- يمكنك أن تتغير، لست خبيرة ولكن لا يوجد ما لا يمكن إصلاحه.

بابتسامة مريرة أجاب:

- لقد قتلت، إذًا أنا قاتل، سأعيش وأموت قاتل. قال أجاثون أحد شعراء اليونان القدماء إن الإله نفسه لا يقدر على تغيير الماضي، فكيف يمكن لإنسان أن يغيره. الله نفسه لا يمكن أن يغير حقيقة كوني قاتلًا.

العقيد حاتم

في واقعة نادرة الحدوث إن لم تكن مستحيلة، قام حاتم بضرب كل شيء عرض الحائط. دخل إلى شقته وبدأ بحزم ملابسه في أحد حقائب السفر، وعندما سألته زوجته عما يفعله أخبرها زاعقًا "أنتِ طالق"، حتى أنه كان متحفزًا لضربها إذا صرخت أو أبدت أي اعتراض. ولكن الذهول ألجم لسانها. أنهى حزم الحقيبة وخرج أمام أنظار زوجته المذهولة التي لا تعلم ماذا جرى له.

ذهب إلى المصرف، وقام بسحب المبلغ الذي أمضى الخمس سنوات الأخيرة في تجميعه، عشرة آلاف جنيه انتزعها عن طريق الاقتصاد وعدم إبلاغ زوجته بالمكافآت الصغيرة التي يحصل عليها من وقت لآخر. خرج من المصرف، ركب السيارة ووضع حزام الأمان، ثم اتجه إلى بوابات مصر اسكندرية الصحراوي. بعد ثلاث ساعات وصل الإسكندرية، ذهب إلى فندق الفورسيزونز وحجز ليلتين. هذا الفندق الذي تمنى أن يدخله منذ أن فتح أبوابه ولكنه يمثل أضعاف ميزانيته. دخل إلى غرفته ووضع حقيبته بداخل الخزانة الفخمة، من دون أن يغير ملابسه استرخى على السرير العريض الطري إلى أن غافاه النوم. استيقظ بعد ساعتين، أخذ ينظر إلى الغرفة ويمتع نظره بها، مكتب

متوسط من الخشب فاتح اللون. لوحات زيتية تضفي لمسة أرستقراطية على الغرفة. تلفاز LCD فلات سكرين حجمه ضعف الذي يملكه في بيته. حمَّام كبير بداخله بانيو لا يقل طوله وعرضه عن مترين، فوقه يوجد الكثير من علب الكريمات وصابون الإستحمام.

خلع ملابسه ودخل ليستحم، ظل عشر دقائق تحت المياه الساخنة لا يتحرك.. لعلها تغسل أحزانه التي أخرجته عن شعوره. أنهى حمامه وارتدى روب الفندق الأبيض، نظر إلى الساعة فوجدها السابعة مساءً، خرج إلى الشرفة التي تطل على منظر خلاب للبحر، جلس على الكرسي الخشبي وأخذ يدخن في استمتاع بهذا الجو متناسيًا حياته التي أصبح يكرهها. بعد نصف ساعة قام وارتدى ملابسه، اختار سروالًا فضفاضًا وقميصًا قطنيًا أبيض اللون وحذاءًا بنيًا يحبه كثيرًا ولا يرتديه غير في المناسبات. ذهب أولًا إلى مول سان ستيفانو، كان يأتي هنا مع زوجته وأولاده للتسكع والفرجة على المحلات، يقف أمام محلات العطور والساعات والملابس ويحلم بيوم يستطيع فيه الدخول وشراء ما يريد دون التفكير في مصاريف أولاده وزوجته التي لا تنتهي. اليوم لن يفكر في أي أحد آخر غير نفسه. دخل إلى محل الساعات وظل البائع يريه مختلف الأنواع والأشكال، إلى أن استقر على ساعة Tissot ذات أوستيك بني. بعدها ذهب إلى محل العطور، بعد تجربة الكثير من الأنواع اختار الكلاسيك Hugo Boss.. لم يكن العطر الأفضل رائحة ولكن لشعوره بالتميز عند رشه وتذكر إعلاناته الكثيرة.

أمضى الكثير من الوقت في محلات الملابس المختلفة وابتاع قميصين رالف لورين وسروال جينز وحذاء كاجوال من تيمبرلاند.

كانت الساعة وقتها العاشرة، لم يدرِ ماذا يفعل فذهب وجلس على البحر فوق المصدات. بدأت أحداث اليوم تعود للطرق على ذاكرته. اللواء فهمي وهبة يخبره بإعفائه من هذه القضية وإغلاقها للأبد. يحاول الاستفسار منه ولكنه يُقابَل بالرفض، يفقد أعصابه ويصرخ للمرة الأولى في رئيسه أن يخبره ما الأمر وإلا سيذهب ويطلع جميع الصحف، وقتها يقول له اللواء أن يأتي لرؤيته في مكتبه. يذهب إلى مكتب اللواء، يغلق اللواء خلفه الباب ويحكي له حكاية أدهم كاملة. الحادث وكيف تكاتف الجميع على إلصاقها بأدهم، والأهم من هذا يخبره لماذا.

قال له في صوت الأب الحنون الذي يريد مصلحة ولده:

- هل تذكر حادثة المطار في العام ٢٠٠٥؟ في هذا العام كان هناك عرض وسباق للسيارات بين الشباب، كان أحد المشاركين أمير من قطر، فقد السيطرة على سيارته واصطدم بمجموعة شباب، كان أحدهم شاب طيار في مقتبل العمر وحيد والديه، للأسف الشديد توفي وقتها، وقامت السلطات بتهريب الأمير إلى بلده لكيلا يُوضَع في السجن ويحَاكَم كغيره من البشر. وصلت الأخبار للإعلام، قامت الدنيا ولم تقعد وأصبح حديث الساعة، عرض الأمير القطري أن يدفع أي مبلغ يتم طلبه كدية للقتل الخطأ ولكن الناس لم تهتم به، أرادت أن

يحاسب كغيره من البشر بأن يوضع في السجن ثم يتم عرض التصالح ودفع الدية. من وقتها وهناك توتر طفيف بين البلدين. أيضًا تم اتهام السلطات بأخذ رشاوى كي يتم تهريب الأمير من دون القبض عليه. بالتأكيد هناك رشاوى دفعت ولكن ليس بالمبالغ التي تم اتهامهم بها.

هل تذكر هذه الحادثة؟

- نعم يا أفندم.

- حسنًا ما حدث مع أدهم شيئًا مشابهًا. كان أدهم يجلس بجانب شقيقه، وقامت سيارة سائقها مخمور وتسير بالاتجاه المعاكس بالاصطدام بهم، هذا السائق أمير من أحد بلدان الخليج، توفي باسم الأخ الأكبر على الفور وعاش أدهم، تم وضع المسئولون وقتها أمام وضع حرج، لا يريدون أن يعاد ما حدث مع الأمير القطري مرة أخرى، ولا يريدون أي توتر بين البلدين، بالإضافة إلى عرض والد الأمير بدفع مبلغ طائل لإخفاء الأمر برمته.

بصوت مختنق قال حاتم:

- ألم يفكروا بمحاسبة الأمير.. ويسير الأمر قانونيًا ويأخذ كل ذي حق حقه.

- صدقني يا حاتم جميعنا نود للأمور أن تسير بشكل طبيعي، ولكن الواقع هو الذي يحكم. كان المبلغ الذي عرضه الأمير كبيرًا، كانت نيته أن يأخذ المبلغ أدهم ووالدته، ولكن الجشع أعمى المسئولين وأخبروه أنهم سيأخذون المبلغ لأنفسهم، لم يعارض وأخبرهم أن همه الوحيد ألا

يمس ولده بسوء ولا يمضي يومًا واحدًا في الحجز. كان له ما أراد. فور أن أنهى الأمير فترة علاجه بالمشفى سافر على بلده. ولإخفاء الأمر قاموا بطبخ القضية ليبدوا أن أدهم هو من قتل أخاه، قاموا بالاتفاق مع الشهود اللازمين وترتيب الأمر. لم يكن صعبًا فعندما تتوفر النقود اللازمة يتم فتح جميع الأبواب. الشرف في هذا البلد واجهة وليس مبدأ.. يتم التخلي عنه وقت المنفعة.

هذا الأمر أكبر مني ومنك يا حاتم، من قبض الثمن رجال لديهم القدرة على مسحنا من على وجه الأرض، لن نفيد أحدًا بدخولنا السجن أو فصلنا من وظائفنا.

ظل حاتم ينظر إلى الموج المتلاطم الذي يعبِّر عن المشاعر التي تنتابه حاليًا، يريد أن ينسى أنه في أحد الأيام دخل كلية الشرطة للدفاع عن المظلومين. أصبح الأمر يعتمد على مكانة الظالم، إذا كان ذا شأن يترك لسبيله، وإذا كان شخصًا عاديًا ينفذ عليه الحد.

أنهى جلسته مكتئبًا وبدأ يسير على كورنيش الإسكندرية. قادته قدماه إلى أحد الكباريهات، دخل إليه مع أنه لا يتردد على هذه الأماكن. أجلسه النادل على طاولة صغيرة تحتوي على كرسيين، أمامه ساحة الرقص الفارغة في هذا الوقت. طلب كيلو كباب وكفتة وجلس يلتهمهم في تلذذ، بعدها شرب زجاجتين كوكاكولا إلى أن انتفخت معدته ولم يعد قادرًا على التنفس، رفض عرض النادل المتكرر بإنزال زجاجة بيرة أو خمرة على الطاولة. بعد نصف ساعة من إنهائه الطعام دخلت

الراقصة، كانت بدينة تمتلك معدة مترهلة وصدرًا كبيرًا. بدأت تتلوى في محاولات شِبه فاشلة لتبدو مغرية للجالسين. عشر دقائق وكانت عند طاولة حاتم ترقص أمامه وتميل عليه مبتسمة. الغريب في الأمر أنه هبَّ واقفًا وصفعها على وجهها صفعة أوقعتها أرضًا من قوتها. جرى جميع الجرسونات والبوديجاردات في اتجاه هذا المجنون الذي يريد إفساد السهرة في بدايتها. أخرج حاتم مسدسه من جرابه وفعل ما حاول تفاديه لسنين طويلة.. صرخ بأعلى صوته أنه ضابط. كانت الصرخة كافية ليتوتر الجميع ويقف كل منهم في مكانه. غادر المكان دون أن يدفع الحساب، ركض خلفه شخصٌ قال له أنا مدير المكان وأود الاعتذار لك. التفت إليه.. بصق في وجهه ثم أوقف تاكسي أخبره بعنوان الفندق.

في الطريق إلى الفندق ظل يفكر في ما وصل إليه الناس. يكره استخدام سلطته، ولكن عندما يجد فكرة الانحناء مقبولة وتنفَّذ من دون اعتراض لدى الناس فلماذا حرمان نفسه مما أصبح طبيعيًا فيما يبدو.

أمضى اليوم التالي في الجلوس لوقت طويل في شُرفة غرفته يمضي الوقت في التدخين وقراءة الجرائد. ثم التنزه على الكورنيش والأكل في مطعم سمك يحبه كثيرًا منذ أيام شبابه. وقت الغروب حزم حقيبته، ركب سيارته واتجه إلى أحد محلات الصاغة، وجد ما تبقى في جيبه من المبلغ أربعة آلاف فقط. طلب من البائع اختيار عقد وإسورة من

الذهب يساويان أربعة آلاف جنيه. وضعهم البائع في علبة مخملية ثم وضع العلبة في كيس أنيق، أخذها حاتم وانصرف. قبل العودة إلى القاهرة عرج على محل نت كافيه. لمدة عشر دقائق فتح بريده الإلكتروني وأرسل رسالة مكونة من بضعة أسطر قليلة. بعدها انطلق على طريق مصر اسكندرية الصحراوي.

ركن سيارته تحت البناية التي يسكنها منذ أن تزوج. صعد الدرج وفتح الشقة بالمفتاح، وجد زوجته تجلس مع أولاده الثلاثة أمام التلفزيون. عندما رأته ركضت إليه والدموع تملأ مقلتيها. احتضنته من دون أن تتفوه بكلمة وصوت نشيجها يطرب أذنيه. في هدوء أخرج العقد والإسورة من الكيس.. وأخبرها أنه نادم على انفعاله عليها وتطليقها بهذه الطريقة. قال لها إنها حياته ولكن أحداث القضية التي يعمل عليها دفعته إلى الجنون.

علم أدهم أن ما بينه وشذى هو شيء أكبر من الحب.. عندما سألها ألم تخافي أن تقابليني بعد قراءة خبر يقول إنني قاتل ومطلوب من الشرطة؟ جاوبته دون أي تردد تسأله وهل خفتَ أنت أن أبلّغ عنك بعدما أطلعتني على مكان اختفائك في الرسالة؟ لقد أصبح هو وشذى واحدًا. اقتربت المشاعر والقلوب إلى أن وصلت حد الانصهار. المصائر والأقدار أصبحت واحدة. حتى عندما قالت له شذى إنها ستذهب معه إلى أي مكان حتى لو أمضت عمرها بأكمله هاربة.. لم يفاجأ كثيرًا. رفض في البداية أن تترك أسرتها من أجله، ولكنها أصرت، وقالت إنها ستزورهم سنويًا وهذا أكثر من كافٍ.

أمضى اليوم بأكمله في الحديث مع شذى، لم يتوقف عن الكلام لعدة ساعات وكأنه يعوضها عن الأوقات التي كان صمته ملازمًا لها. تحدث عن نشأته مع باسم ووالدته كأرملة باستفاضة. أخبرها أدق تفاصيل حياتهم التي لم تغادر ذاكرته لحظة واحدة. ثم بدأ في التخطيط لحياتهما الجديدة. سألها للمرة المائة بعد الألف إذا أرادت التراجع وأخبرها أنه سيتفهم الأمر. أكدت له بصوت هادىء واثق أن قرارها لا

رجعة فيه، قالت له إنها انتظرت أن يكون لها حياة مع من تحب منذ زمن ولن تتراجع مهما حدث.

كانت ناديا قد تركتهما وذهبت لإحضار طعام للغداء، دخلت عليهما وقت الغروب. وضعت الأكل على الطاولة الخشبية القصيرة وقالت لأدهم:

- لن تصدق ما حدث، قبل شراء الطعام ذهبت لتفقد الإنترنت لأرى إذا كانت هناك أي أخبار جديدة عن القضية، لم أجد أي صحيفة إلكترونية أو ورقية تتحدث عن الموضوع وكأن أحدًا يمتلك عصا سحرية قد لوَّح بها وأخبرهم بإخفاء الأمر. استغربت كثيرًا وشعرت أن الأمر مثير للريبة، بعدها فتحت بريدي الإلكتروني، وجدت رسالة من العقيد حاتم، كتب فيها أن القضية أغلقت ولن يعاد فتحها لأن سائق السيارة التي صدمتكم أمير خليجي وقد دفع الكثير من الأموال لإنهاء الموضوع، وأن حاتم هو الوحيد الذي يعلم بأمر شراكتي معك ولن يخبر أحدًا.

بإمكاني العودة الآن، أنا أصدقه.

- أمير خليجي؟

صمت قليلًا وبدا الهم على وجهه.

- لسنوات وضع عقلي المئات من السيناريوهات والقصص لمن يمكن أن يكون سائق السيارة الأخرى، ابن وزير أو أحد رجال الأعمال أو حتى

بلطجي استطاع شراء الشرطة، ولكن أجنبي؟ هذا ما لم يتصوره عقلي. لماذا يبذلون كل هذا الجهد من أجل أجنبي؟

- ليس من أجل أجنبي يا أدهم، من أجل المال، عند انعدام الضمير والشرف يصبح المال الهدف الوحيد للحياة مهما ترتب عليه من مصائب.

- لن أتركه.

هنا تدخلت شذى وكأنها بانتظار هذه اللحظة:

- لا سوف تتركه.. لن أترك كل شيء من أجلك وأنت لا هم لك سوى التخطيط للمزيد من القتل الذي لن يروي عطشك بالانتقام وإصلاح الناس. ما تركض خلفه محض سراب.. تظن أنك سترضي أخاك في تربته وترضي نفسك المنكسرة ولكن الحقيقة أن الوحيد الذي سترضيه هو الشيطان. أنزل الله لنا الدين حتى نعلم أنه سيحاسبنا في الآخرة، كل من شارك في عدم محاسبة قاتل أخيك سيحاسب، كل من شارك في سجنك ظلمًا سيحاسب، أخذ حقك بيدك يقضي على هذا الحق، ألا تثق أن الله هو العدل نفسه؟

بهت أدهم وناديا.. لم يظن أن شذى يمكنها التحدث بهذه الطريقة بكلمات تزلزل كيانه، ولكن كيف لها أن تشعر بما مر به؟ وكيف لها أن ترى ندوبه الداخلية التي لا يراها سواه؟

العقيد حاتم

بعدما استيقظ حاتم وهاتف اللواء فهمي وهبة ليخبره بأنه أمضى يومين الإجازة الذين نصحه بهما ومستعد للعودة إلى العمل، فتح بريده الإلكتروني ليرى إن كانت ناديا قد بعثت له تعقيب على رسالته. فوجئ بأنها قد بعثت إليه برسالة طويلة، توقع أن يتلقى بضع كلمات شكر أو سؤال عن السائق الخليجي أو حتى الشك في عرضه بأن تعود لحياتها الطبيعية ولن يخبر أحدًا عن علاقتها بالقاتل، كان نص الرسالة كالآتي:

"عزيزي حاتم، أستطيع تفهُّم غضبك الشديد وإحساسك بأنني كنت أستغلك فقط. الحقيقة أنني أعتز بصداقتك كثيرًا وأعتبرك من رجال الشرطة الشرفاء القلائل. آمل أن تتذكر أنني كنت صديقتك من قبل أن تبدأ قضية أدهم ولم يكن بإمكاني التخمين بأنك ستكون المسئول عن التحقيق في القضية. فكرت كثيرًا بإخبارك عما واجه أدهم من ظُلمٍ وكيف ضاع حق أخيه.. ولكن لم أرد إقحامك في أمر بهذا التعقيد وأُثقِل ضميرك أكثر مما هو محمل بأثقال هذا الوطن. لدي أمر أود إطلاعك عليه. لا أعلم هل بإمكانك التصرف حياله أم لا ولكن لا ضرر من إخبارك وترك الأمر بين يديك.

هناك أربعة جرائم قتل ارتُكِبَت ونُسِبَت إلى القاتل المتسلسل أو أدهم. الحقيقة إن إحدى هذه الجرائم قد أُلصِقَت به وليس له دخل بها. أحدهم استغل وجود قاتل متسلسل ليرتكب جريمته ويهرب من وضع اسمه في موقع الشبهات. وما أريد إطلاعك عليه هو كيفية كشف القاتل. لا أعرف من هو ولكن بإمكاني إطلاعك على طريقة العثور عليه. القتيل الذي أتحدث عنه هو المستشار عيسى محمد العياط. قُتِلَ في منزله ليلًا. بالتأكيد لديك كل المعلومات. في الطابق الأرضي من بناية القتيل تسكن امرأة في حوالي الثلاثين من عمرها. تعيش مع ولدها الوحيد الذي لم يكمل عامه السادس بعد. هذه المرأة هي عشيقة أو زوجة ثانية لا أعلم لرجل أعمال عجوز في السبعين من عمره. يزورها مرة كل أسبوع.. يسهر معها ثم يغادر في الصباح. هو الذي يتكفل بجميع مصاريفها وهو الذي ابتاع لها هذه الشقة. بسبب الفارق الكبير في السن بينهما لا يثق الرجل في عشيقته تمامًا. في البداية اعتاد أن يزورها في منتصف اليوم دون ميعاد مسبق ليتأكد أنها وحيدة وأنها لم تغادر دون إذنه. بعدها اقترح عليه أحدهم أن يقوم بتركيب كاميرا للمراقبة شديدة الصغر فوق الباب. وضع إطارًا من الورد المجفف فوق باب الشقة وأخفى بداخله الكاميرا التي تسجِّل كل شيء أمام الباب. فأصبح يسألها عن مواعيد خروجها ويطابقها بالوقت المسجل على الكاميرا.

ليس هذا موضوعنا على كل حال، هذه الكاميرا تسجّل كل شيء، بإمكانك أن تذهب لرؤية هذا الرجل وطلب مشاهدة تسجيل اليوم الذي قُتِلَ فيه المستشار وترى من زاره في هذا الوقت. بالتأكيد تود سؤالي كيف علمت بأمر هذه الكاميرا. أخبرني ابن حارس البناية ذو الأربعة عشر عامًا. عندما سألته إذا كان لديه أي معلومات قال لي وما المقابل؟ قلت له أعطيك قُبلة في خدك. فانطلق يحكي عن هذه الكاميرا التي يعلم بأمرها ولم يطلع أحد خوفًا من الرجل، ولم يطلع الشرطة لأنه يكرههم بسبب إلقاء القبض على والده أكثر من مرة للاشتباه فيه.. ولا يتم إخراجه إلا عند الحصول على رشوة.. صغيرة بالنسبة لهم كبيرة بالنسبة لأسرة الحارس.

أحبك كثيرًا وأتمنى أن نلتقي في مكاننا المعتاد للثرثرة عن الحال المزري للوطن الذي نعشقه ولن نغادره إلا إلى القبر. تحياتي"

أنهى حاتم القراءة وانطلق ذاهبًا إلى منزل المستشار للتأكد من وجود الكاميرا. دخل إلى البناية، وجد شقة الدور الأرضي وفوقها إكليل الورد، فور أن وضع يده على الإكليل تأكد بوجود كاميرا بداخله. طرق الباب وفتحت له امرأة ترتدي قميص نوم طويلًا وتلف إيشاربًا خفيفًا حول رأسها. طلب منها إخباره عنوان زوجها، رفضت وحاولت إغلاق الباب ولكنه منعها عن طريق وضع قدمه، ثم أخرج بطاقته وأخبرها أنه ضابط ويحقق في جريمة قتل.

بعدما دوَّن العنوان اتجه إلى مكان عمل رجل الأعمال. بعد الإجراءات الروتينية من مقابلة سكرتيرته ورفض رجل الأعمال مقابلته في البداية إلى أن علم أن حاتم ضابط شرطة.. دخل إلى مكتبه وأخبره مباشرة دون أي مقدمات أنه يريد رؤية تسجيل الكاميرا التي وضعها فوق باب شقة زوجته الثانية. تمنع في البداية، ولكن حاتم قال إنه سيتهمه بعرقلة عمل تحقيق في جريمة قتل.. كان يجب عليه إخبار الشرطة من قبل ولكنه أخفى هذه المعلومة. سأل الرجل أية جريمة قتل وأنه لا يعلم شيئًا عنها، في النهاية عرض عليه تسجيل يوم الجريمة. وكالعادة منذ أن بدأت هذه القضية نزلت الصاعقة على حاتم.

خرج حاتم من البناية ودمه يغلي طالبًا تفسيرًا لما رآه. توجه إلى مكتبه، سأل عن سالم العسكري فأخبروه أنه في عطلة عند أهله في البلد. كان يعلم أن الطريق إلى بلد سالم يستغرق ثلاث ساعات ولكنه لم يتردد وركب سيارته عازمًا على خوض هذا السفر الطويل، فقط ليحصل على إجابة للسؤال الذي مزق أوصاله من الداخل.

وصل إلى القرية في السادسة مساءً، سأل عن منزل سالم فدلوه عليه. رأى سالم يجلس أمام باب منزله على حصيرة يدخن الجوزة، نادى عليه، وعندما رآه سالم ترك الجوزة من يده وذهب ليستقبله بالتحيات. طلب منه حاتم أن يركب معه السيارة، ثم انطلق عائدًا إلى الطريق السريع.

- لماذا قتلت المستشار يا سالم؟

بعد علامات الذهول والدهشة المرسومة بإتقان على وجهه قال:

- يا بيه.. يا بيه كيف أقتل مستشارًا ولماذا، ومن هو هذا المستشار، من قال لك هذا التخريف؟

- قام أحدهم بتسجيل دخولك وقت ارتكاب الجريمة على شريط فيديو فلا داعي للتمثيل الهابط، أجب عن سؤالي في هدوء.

- لا يمكن يا سعادة البيه، من قال لك شيئًا فهو كاذب كاذب.

أخرج حاتم مسدسه، ودون تضييع لحظة واحدة وضعه على ركبة سالم وأطلق النار. انفجرت الدماء غزيرة من ركبة العسكري السمراء وظل يصرخ ويسب ويلعن جنون حاتم وخرافاته. سأله حاتم مرة أخرى "لماذا؟".. وعندما ظل على سكوته وضع المسدس مرة أخرى على ركبته فصرخ سالم قائلًا بأنه سيعترف له بكل شيء. أوقف حاتم سيارته وقتها على جانب الطريق الفارغ من السيارات في هذا الوقت.

- يا بيه الأفضل لي ولك ألا تعلم شيئًا عن الموضوع.

- أترك لي موضوع البحث عن مصلحتي الشخصية وأجب عن سؤالي.

- أمري إلى الله، ولكنك ستسمع إجابتي وتعلم لماذا حاولت إخفاءها عنك.

وكان سالم صادق في هذه الجزئية، فعندما أخبره من كلفه بقتل المستشار.. ودَّ حاتم لو لم يعرف شيئًا عن الموضوع. بهدوء أخرج هاتفه المحمول وطلب من سالم أن يعيد سرد ما قاله أمام الكاميرا. مع فوهة المسدس الموجهة ناحيته قال سالم كل شيء، لم يكن ليكذب

وحياته على المحك. بعدها وضع حاتم المسدس على صدغ سالم، وقبل أن يغير رأيه أطلق النار، فانفجر رأس العسكري ناثرًا قطعًا من مخه على زجاج السيارة وبابها.

أنهى حاتم كل شيء من إخفاء الجثة وتنظيف السيارة من الدماء، ثم جلس يبكي بصمتٍ داخل سيارته. لا يعلم ما يجب عليه فعله، تصرف بعفوية وغضب وكراهية متراكمة من وقت أخبره رئيسه أن يترك قضية أدهم وسبب إغلاقها. قتل سالم من دون أي تردد، ليس انتقامًا.. ولكن لتحقيق جزء صغير من العدالة يمكنه من النظر إلى وجهه في المرآة. لا يمتلك أي دليل لإدانة من أعطى الأمر بالقتل، ولكنه شخصية عامة شديدة الشهرة، والمستشار الراحل كان سيضعه خلف القضبان ويكشف زيفه بعد محاولات كثيرة باءت جميعها بالفشل في شرائه. عندما جاء سالم للعمل معه كان يعلم أن لديه تاريخًا أسود، ولكنه لم يكن يعلم أنه بهذا السواد.

أدار محرك السيارة وانطلق عائدًا إلى القاهرة. وطوال الطريق ظل يقلِّب الأمر في عقله، إلى أن توصَّل لما سوف يفعله، لن يترك الأمر يمر كما حدث مع قضية الأمير الخليجي، هذه المرة يمكنه أن يفعل شيئًا من دون تعريض وظيفته وأسرته للمشاكل. سيقوم بتسريب شريط الفيديو الذي يصوِّر سالم وهو يدخل البناية ليقتل المستشار.. معه شريط الفيديو وسالم يعترف بمن أعطاه الأمر بالقتل، ويترك الأمر في يد الناس. إذا صدقوا أكاذيب القاتل وإعلامه المضلل.. يكون قد فعل

ما عليه، وإذا لم يصدقوه واستطاع أحد الشرفاء أن يحاسبه كان بها. هكذا هي الحياة، إذا اجتمع الناس على شيء وأرادوه بشدة لابد أن يحدث، كما قال الشاعر الأشهر"إذا الشعب يومًا أراد الحياة.. فلابد أن يستجيب القدر".

أول من خطرت بباله بعد أن قرر تسريب ما لديه هي ناديا، رغم أنه لا يطيقها بعدما حدث إلا أنها أنسب واحدة تستطيع تسريب هذه الفيديوهات ونشرها على أوسع نطاق. هاتفها وطلب منها مقابلته في مكانهما المعتاد، أخبرته أنها لم تعد بعد واتفقا على اللقاء في الغد.

أمضى يومه كقط حبيس لا يمكنه الاسترخاء، حتى في الليل لم يستطع النوم أكثر من ساعتين استيقظ بعدهما. عندما حان وقت اللقاء ذهب دون أي تأخير. وصل قبلها وجلس على إحدى الطاولات. عندما دخلت عليه مد يده لمصافحتها، ولكنها فاجأته عندما احتضنته.. ظلت تضغط على جسده لبضع ثوانٍ، ثم تركته وأخبرته أن سعادتها لا توصف بعدم تأثُر علاقتهما بعدما حدث. حكى لها القصة كاملة وما يريد فعله. طمأنته كثيرًا أنها ستتفرغ لهذا الأمر، ووعدته أنها لن تترك هذا الرجل الذي يرتدي زِي الدين ويستخدمه كدرع لجميع قذاراته إلا وهو ينزف، لا يمكنها أن تعد بإصابته في مقتل.. ولكنها ستجرحه وتخلخل سمعته التي هي رأس ماله. أخبرها أنه لا يهتم كثيرًا للنتيجة، كل ما يهمه هو الفعل.

سألته ناديا لماذا لا يريد غض النظر عن المسألة وفي نفس الوقت لا تهمه كثيرا النتيجة. سكت قليلًا وكأنه يبحث عن شيء في ذاكرته.. ثم قال:

- قال لي أبي ذات مرة شيئًا علق بذاكرتي وساعدني كثيرًا على العيش وسط الظلم الذي يحدث أمامي يوميًا بصفة متواصلة. قال لي تخيل أن جميع سكان العالم أتقياء لا يرتكبون أي معصية، ولكنك فاسق وترتكب جميع السيئات.. ستدخل النار. وتخيل أيضًا أن العالم بأكمله فاسق ظالم قاتل، ولكنك نظيف بريء ولم تؤذِ بعوضة.. ستدخل الجنة. في النهاية لن يحاسب أحد على أفعال الناس، سيحاسب على أفعاله وحيدًا، لذلك يجب أن نتشغل بأفعالنا أكثر من أفعال الناس ونتائجها.

أدهم

طوال الوقت بداخل عقلي أسمعك وحيدًا تتنفس، صوت أنفاسك ثقيلة ثقل الدهر أيام الحروب. هكذا كان أدهم يحدث باسم في أحلامه، حكى له كل ما حدث إلى الآن. قال له لقد طرحتني الحياة أرضًا، وقفت مستعيدًا هيئتي القتالية وسددت بعض اللكمات، بعضها وجد مقصده والبعض الآخر ضاع في الهواء، ولكن في النهاية.. ظللت واقفًا، مغلقًا روحي على كل الندوب التي لوثتها ورافضًا الاستسلام والخنوع. بقي أمامي خطوة واحدة آمل أن أجد بعدها سلامي النفسي وأكمل حياتي مطمئنًا أنني لم أقصر في حقك، ولكن هناك شخصًا يقف أمام تحقيقي لهذه الخطوة، الفتاة التي أصبحت لي حياة وقلبًا نابضًا، لا تريدني أن أكمل تحقيق العدالة وأقضي على آخر فرد مسئول عما حل بنا. خيرتني بينها وبين تحقيق الخطوة الأخيرة في خطتي، الحقيقة أنني إذا تركتها تتركني سوف أصبح في عداد الأموات، وإذا تركت خطتي سأظل في تعداد الأموات الذي أحيا فيه منذ سنوات. أشعر أنني أعيش في برزخ بين موت وموت آخر، وكل ما أملكه هو اختيار الطريقة.

أنت الوحيد الذي تفهمني، حتى ناديا قالت لي أن أحيا بسلام مع شذى وأترك الماضي لحاله.. أو أتركه لخالقه هو أجدى أن يحاسب الجميع على أفعالهم، يستطيعون أن يغيروا الحقائق في حياتهم ولكن في الآخرة لن تكون غير الحقيقة مجردة.

أعلم أنك دائمًا تستمع إليَّ ولا تتحدث، أرجوك تحدث ولو مرة واحدة، أريد سماع أي شيء.. أي شيء.

لم يعلم أدهم وقتها مدى الهلوسة التي أصبحت عليها أحلامه، لا يعلم هل حبه الشديد لشذى جعله يرى باسم وهو يتكلم أم أن عقله الباطن شعر بالشفقة على الحال التي آل إليها. أصبحت صورة باسم ضبابية.. وسمع صوته ينبثق ضعيفًا وكأنه يأتي من أعماق بئر ليس لها قاع، تحدث بجمل غير مكتملة، قال له إنه كما كان لسيدنا آدم عليه السلام تفاحته التي حارب للحصول عليها ولم يعلم ما المصير الأسود الذي يقبع خلفها.. لكل منا في هذه الدنيا تفاحة تغرينا بالركض خلفها وفعل المستحيل لامتلاكها، ولكننا لا نفكر بنتيجة الحصول على التفاحة، البعض تتمثل تفاحته في الركض خلف زواج ظنه النعيم بعينه واكتشف أنه عالم موازٍ للجحيم، البعض الآخر ركض خلف العمل ولم يعلم أنه باع روحه في سنين طويلة لم يشعر بها، في حالتنا نحن.. هناك من ركض خلف تفاحة ملوثة بالدماء، وظن أنه سيعيش للأبد.

مع كلمات باسم الأخيرة في الحلم استيقظ أدهم على يد شذى وهي تعبث بشعره، وتخبره أنهما وصلا بيروت. فور خروجهما من السيارة وجد رجلًا أربعينيًا يتجه نحوه. سلّم على أدهم بحرارة وأخبره أنه مرسل من طرف وائل نخلة "والد ناديا". حمل حقائبهم مع أدهم ونقلها إلى سيارة جيب شيروكي، ركب أدهم بجانبه وركبت شذى في الكنبة الخلفية.

وصلوا إلى منزل مكوّن من ثلاثة طوابق، أنزل الرجل الحقائب، أعطى أدهم مفتاح شقة الدور الأرضي وأشار إلى شرفتها. أخبرهم أن الشقة مفروشة ومجهزة بالكامل، ثم أعطاه مبلغًا من المال وقال له إن أستاذ وائل نخلة قد دفع الإيجار ثلاثة شهور مقدمًا وبعدها سيكون عليه الاعتماد على نفسه ودفع الإيجار بصفة منتظمة. كانت البناية تعتبر متوسطة المستوى، أمامها شارع واسع نظيف، على خط الشارع هناك الكثير من الشرفات المضيئة التي ينبعث منها دخان الأراجيل وصوت موسيقى هادئة.

نقل أدهم الحقائب إلى الشقة، كانت شديدة الصغر تحتوي على غرفة نوم واحدة وصالة صغيرة مفتوحة على مطبخ من الخشب، أفضل ما فيها هو الشرفة الواسعة التي تطل على الشارع، وكأنهم اقتصدوا من داخل الشقة ليصمموا شرفة مريحة.

- تحتاج إلى الكثير من التنظيف.

هكذا قالت شذى. أدخل أدهم الحقائب إلى غرفة النوم في حين شرعت شذى في إخراج أدوات التنظيف التي عثرت عليها في أحد أدراج المطبخ. غيرت ملابسها وبدأت بإزالة التراب المتراكم على الحوائط والأرض والأرائك. أمضت أكثر من ساعة تنظف وأدهم لا يتحرك من مكانه جالسًا على كرسي في الشرفة. بعدما انتهت غيرت ملابسها وقالت له:

- سأذهب لأتجول في الشارع وأسأل عن المحلات المحيطة. تأتي معي؟

قام من مجلسه وذهب باتجاه الباب. أمسكت يده في حب متغاضية عن وجهه المعرب عن تكشيرة كريهة. سارا في الشوارع وحفظا المحلات التي يعلمون أنهم سيحتاجونها، كالبقالة ومطعم يقدم وجبات سريعة ومطعم صغير للعشاء. كانت شذى ترتدي فستانًا أصفر اللون تحته صندل ذهبي، بدت لأدهم كفراشة كلما رأى الهواء يطيّر فستانها وشعرها، وكان هذا السبب الوحيد في رسم البسمة على شفتيه وانفكاك عقدة حاجبيه اللذين أمضيا الثماني وأربعين ساعة الأخيرة على وضعهما. عادا إلى المنزل محملين ببقالة، فور أن دخلا اتجهت شذى إلى المطبخ لتعد الطعام وذهب أدهم إلى جلسته في الشرفة ليغرق في أفكاره مرة أخرى. بعد ساعة وجد شذى تخرج إليه وفي يدها صينية تحمل طبقين من الأرز بالكاري فوقهما قطعتا لحم. وضعت الصينية وذهبت لتجلب العصير.

أكلا في صمت، ظلت شذى بعدها تنظر إليه وكأنها تستجديه أن يُسمِعها كلمة طيبة بعد كل ما فعلته لأجله. وكأنه سمع أفكارها، قال لها إنه لم يجبرها على فعل أي شيء لأجله.. وأنه يشعر بخيانة لأخيه عندما جاء هنا وترك سائق السيارة الخليجي حرًا طليقًا. لم ترد عليه، كل ما فعلته هو وضع رأسها على كتفه، فقام بلف ذراعه حولها.. وشعر بدفء جسدها يهدىء من روحه. في اليوم التالي ذهبا ليعقدا قرانهما عند مأذون لديه لحية متوسطة الطول، أعطاهما خطبة طويلة عن رحمة الزواج وأن الله خلق لنا أزواجًا لنسكن إليها.

تحدثا عن وجوب عثورهما على عمل، واتفقا على الاستيقاظ باكرًا للبحث. أمضيا أسبوعًا كاملًا في الدوران على الشركات والمحلات ولكن لم يجدا أي أماكن شاغرة. في اليوم الثامن قرأت شذى إعلانًا في جريدة عن "أرت جاليري" يبحث عن موظفين. ذهبت للمقابلة، وجدت "الأرت جاليري" كبيرًا بداخله الكثير من اللوحات الخلابة التي ودت إمضاء الوقت بجانبها، قابلها زوجان في العقد السابع من العمر، تزوج أولادهم وأنهوا خدمتهم في أحد البنوك الدولية منذ ثلاثة أعوام، وبمكافأة نهاية الخدمة حققا حلمهما بافتتاح "أرت جاليري" تُعرَض فيه لوحاتهما ويقيمان به المعارض للشباب المبتدئين لدعمهم. سعد الزوجان كثيرًا بخبرة شذى في الرسم والتعرف على اللوحات وقراءتها، هذا بغير لباقتها في الحديث ووجهها المريح لكل من ينظر إليه، طلبا منها بدء العمل فورًا بمرتب معقول وقبلت على الفور.

منذ أن بدأت شذى في العمل أصبح أدهم يمضي معظم يومه وحيدًا، أفكاره تأكله من الداخل، في أحد اللحظات تمنى لو لم تخبره ناديا بهوية الأمير الخليجي فيظن أن مهمته انتهت.. أو يشعر أنه عمل قدر استطاعته على قدر المعلومات التي يمتلكها. في النهاية اتفق داخليًا أنه بعدما يجد عملًا سيخبر شذى أنه سيسافر في رحلة عمل ليومين، خلال هذا الوقت سيذهب إلى الأمير الخليجي ويصفي الأمر معه.. ثم يعود إلى شذى ويمضي معها بقية عمره راضيًا. تذكر البدلة السوداء التي يرتديها وقت ذهابه للقتل وكأنه قاضيًا أو محاميًا في مهمة للثأر وأخذ حقًا مفقودًا، وتذكر إصراره على القتل في نفس تواريخ سير القضية، لهذا سوف ينتظر آخر يوم في هذا العام حتى يكون قتل الأمير متزامنًا مع تاريخ الحادث كما فعل مع الضابط. أراحه هذا التفكير كثيرًا، حتى شذى شعرت بتغيُّر في شخصيته، فقد عاد أدهم الذي أحبته، يعانقها ويقبِّلها بحب وهو يتلو عليها أفضل كلمات الغزل والغرام.. ممتنًا لتضحية قامت بها من أجله، تضحية تروى في الأساطير ولا تنفذ في هذا الزمن.

بعد مرور شهر عثر أدهم على عمل، في مركز لبيع السيارات الجديدة والمستعملة، وجد أدهم نفسه في هذا العمل، أحب السيارات واعتنى بها كأبنائه، يدللها ويناديها بأسماء فتيات، في المقابل أصبح لديه الكثير من زبائنه الذين يشترون بناءً على نصيحته. مضت أيام أدهم وشذى بعد عملهما إلى مزيد من الاستقرار، أصبح كلاهما يعود إلى المنزل في

حوالي الخامسة. يطبخان طعام الغداء معًا في المطبخ الصغير، ويأكلان في الشرفة. اكتشفا معًا متعة الأكل. أصبحا يبحثان عن أكلات جديدة من المطبخ العالمي.. فرنسية ويونانية وأسبانية، هذا غير الأكل اللبناني المميز.

بعد الطعام يقتسمان تنظيف الشقة الصغيرة، ثم تبدأ شذى بتجهيز الشرفة لسهرتهم. تضع كاسيت يصدع بموسيقى هادئة معظمها يحتوي على الكمان والبيانو، بجانبه سبرتاية لعمل فناجين القهوة. فيما يمضي أدهم سهرته في القراءة.. تمضي شذى السهرة في الرسم وأخذ رأي أدهم فيما ترسمه، وأتت السهرات التي تمتد إلى ما بعد منتصف الليل بفائدة. فأضحى اسم شذى له شهرة معقولة في بيروت كرسَّامة تُبَاع لوحاتها بأسعار مناسبة في الجاليري الذي تعمل به. اتخذت لوحاتها اتجاه التعبير عن الصراعات السياسية التي تجرد المشاركين فيها من إنسانيتهم، ونظرًا للصراعات الكثيرة التي تحدث في الوطن العربي وخاصة في لبنان لاقت لوحاتها الكثير من القبول.

أكثر ما أُغرَم به أدهم في بيروت كان الحجم الكبير للروايات العالمية المترجمة إلى العربية، فقرأ وتعرف على الكثير من المؤلفين الجدد بالنسبة إليه، كبول أوستر وتوني موريسون وجيمس جويس وجورج أمادو وأيريس مردوخ.

أصبح الزوجان يمضيان أيام الإجازة الأسبوعية على البحر الذي يبعد عن منزلهما عشرين دقيقة، عشق كلاهما رائحة البحر والعيش بقربه،

يسيران على البحر لساعات يستريحان خلالها ويتناولان الأيس كريم والعصائر. ترتدي شذى فستانًا أبيض سمَّاه أدهم "فستان الملائكة". لجماله على شذى وهواء البحر يحركه يمينًا ويسارًا على جسدها الرقيق.

رغم معارفهما الكثيرة في عمل أدهم بمعرض السيارات وعمل شذى في الجاليري، لم يكوِّنا أي صداقات. اكتفى كل منهما بالغوص في الآخر واعتباره عالمه الوحيد. ومضت أيامهما على هذه الوتيرة إلى نهاية العام، حتى قررت شذى أنها ستمضي أسبوع إجازة الكريسماس والعام الجديد كما أخبروها في الجاليري بمصر مع أسرتها التي أوحشتها هناك. شجعها أدهم على هذا القرار وحقها في زيارة أسرتها وأنه سيكون بخير من دونها هذا الأسبوع.

أوصلها أدهم المطار في الرابع والعشرين من يناير. ودعها على أبوابه بكثير من الأحضان والقبلات على الفم. وفي اللحظة التي تركت الطائرة أرض المطار بدأ عقله يعمل بأقصى طاقته. تذكر زياراته لسفارة البلد الخليجي منذ ثلاثة أسابيع للحصول على التأشيرة. الآن هو جاهز للسفر. عاد إلى المنزل لإحضار حقيبة صغيرة وإخبار الحارس أنه لن يكون موجود لأربعة أيام في رحلة عمل. دخل غرفة النوم فوجد الحائط قد كُتِبَ عليه بقلم روج وبخط شذى المميز "هل تنتظر عودتي كما أفعل؟". هل ينتظر عودتها فعلًا؟ بالتأكيد ينتظرها. ولكن هل تنفيذ ما وعدها بعدم القيام به يعتبر خيانة لها؟ يتمنى ألا تكون خيانة

لمن أحب، ولكن إخفاء أي شيء مهما صغر حجمه يضع مسمار في تروس العلاقة، حتى لو كان المسمار صغيرًا وغير مؤثر فلابد له أن يظهر في يوم من الأيام.. ووقتها لن يكون مجرد مسمار.

ليوقف عقله عن التفكير بدأ بترتيب حقيبته. أخذ طقمان غير الذي يرتديه، أغلق باب الشقة واتجه إلى المطار. حجز تذكرة السفر ووجد أن الطائرة لن تنطلق قبل خمسة ساعات، جلس في المطار ينتظر، وكل ما وقع نظره على فتاة شابة ظن أنها شذى حتى ولو لم تكن تشبهها. أخفى رأسه بين كفيه في محاولة فاشلة لإبعاد حبيبته عن تفكيره. ركب الطائرة واستغرقت الرحلة حوالي ثلاث أو أربع ساعات، أنهى الإجراءات في المطار وقام بحجز غرفة في أرخص فندق وجده في المدينة. بدأ بمراجعة المعلومات التي قام بتجميعها، يسكن الأمير مع عائلته في قصر يبعد نصف ساعة عن فندقه. يعمل بشركة والده للاستيراد والتصدير ولكنه غير ملتزم بمواعيد ثابتة في العمل. فأحيانًا يذهب في الثامنة صباحًا وأحيانًا في الثانية عشر. يقع مقر الشركة في الطابق الرابع عشر من أحد البنايات التجارية المليئة بمكاتب الشركات ورجال الأعمال.

وضع خطته. لا يعلم هل يعرف الأمير أو والده شكله أم لا، ولكن للمزيد من الأمان قام بتغيير ملامحه قليلًا عن طريق حلاقة ذقنه ورأسه ووضع شارب مصطنع ورش سبراي للسمرة على وجهه ويديه فيبدو أسمر اللون، ثم الذهاب إلى مقر الشركة كعميل يريد استيراد

بضاعتهم إلى بيروت. ذهب إلى مقر الشركة، انتظر قليلًا في صالون الاستقبال الذي يبدو كأحد فنادق الخمسة نجوم، ثم دخل إلى مكتب نائب المدير، رحب به بحرارة واستمع إليه بتركيز، أخبره بجميع شروط التسليم والدفع، وطلب منه أن يزور مخزنهم ليرى عينة من المنتج.

ذهب في اليوم التالي إلى المخزن وأدى دور التاجر المهتم بالبضائع ومدى جودتها وتحملها، وفي اليوم الذي يليه قابل نائب المدير في مقر الشركة وفاصل معه في السعر وقام بتخفيضه بنسبة عشرة في مائة، ولم يرَ لا الأمير ولا والده في هذا اليوم أيضًا. بقي يومان ولا يدري كيف يمكنه أن يقابل الأمير ثم ينفرد به، هاتف نائب المدير وطلب منه مقابلة المالك الرئيسي للشركة لمحادثته في أمر هام، تمنَّع الرجل في البداية ولكن بعد إصرار أدهم على أهمية المقابلة أذعن وأعطاه ميعاد في اليوم التالي.

ذهب أدهم إلى الميعاد مبكرًا نصف ساعة، جلس في صالة الاستقبال الواسعة، قدمت إليه الخادمة الآسيوية شايًا أخضر مُر المذاق، رشفه على مهل محاولًا تخزين كل ما تراه عيناه في ذاكرته من موظفين وأوقات تحركاتهم، بعد مرور حوالي ساعة طلبت منه إحدى السكيرتيرات القدوم معها لمقابلة المالك. كانت غرفة مكتبه واسعة شديدة الفخامة كل شيء بداخلها يصرخ من كثرة البذخ والترف.. بدايةً من البساط على الأرض إلى اللوحات على الحائط. جلس خلف المكتب رجل في العقد السابع أو الثامن من العمر يرتدي جلبابًا أبيض

وعلى رأسه العقال المميز لأمراء وملوك دول الخليج. أمام المكتب وجد أدهم ضالته.. الأمير الصغير الذي حدثته ناديا عنه. كان كما وصفته تمامًا. شعر أسود فاحم عليه الكثير من الكريمات التي جعلته لامعًا. بشرة سمراء بلون الكاكاو. شارب صغير. وأكثر ما يميزه هو الندبة الغائرة في وجنته بداية من جانب شفته إلى عينه اليسرى. أما ملابسه فكانت عكس والده تمامًا.. بنطلون جينز فاتح اللون وقميص أسود مفتوحة أزراره العلوية فظهر من خلفها شعر صدره الكثيف.

بعد الترحيب والسلام تحدثوا في البضاعة التي يود أدهم شراءها. وأبدى رغبته في شراء أضعاف الكمية التي طلبها إذا أعطوه سعرًا أفضل. سألاه عن الكمية تحديدًا والوقت المتوقع أن يطلبها خلاله. ظلوا يتحدثون عن العمل وعن الطلبية التي يتم تجهيزها لأدهم ووعدهما أن يكون المقدم المطلوب في حسابهما خلال ثلاثة أيام. بعد انتهاء اللقاء سأل أدهم الأمير الصغير عن مكان للخروج مساءً والترويح عن نفسه. أعطاه الأمير اسم وعنوان مطعم على البحر وأصر عليه أن يسهر معه فيه على شرف الصفقات القادمة بينهم. أيّد والد الأمير كلامه وأخبره أنه في بلدهم ومن غير اللائق ألا يقوموا بواجب ضيافة معه.

في الثامنة مساءً وكما اتفق معه الأمير وجد أدهم سيارة مرسيدس أمامها سائق هندي يفتح له الباب. ركب معه وأنزله السائق أمام باب المطعم. دلف إلى المطعم. وفي إحدى الطاولات بجانب السور المطل

على البحر وجد الأمير جالسًا وبجانبه فتاة، شعر أدهم بأن جسده قد تصلب ونفسه قد انقطع.. كانت الفتاة الجالسة أمام الأمير هي شذى، أغمض عينيه للحظة وفتحهما، فوجد أن الجالسة بجانب الأمير فتاة شابة تشبه شذى ولكن ليست هي. أحس أن رأسه يؤلمه وأن الهلاوس تريد السيطرة على عقله، أسند جسده على الحائط الملاصق له، شعر بثقل في حركته، إذا قتل الأمير هل سيصيب زوجته ما حدث لناديا بعد وفاة باسم؟ هل لهذا الأمير إخوة سيعصف بهم الحزن؟ هل والدته على قيد الحياة؟ الأهم من كل هذا.. هل ستظل علاقته هو بالهبة التي أهديَت له من السماء على حالها بعد خيانته لها وتنفيذ ما وعدها بعدم القيام به؟

قبل التعرف إلى شذى كان يعيش كشخص فقد حاسة التذوق والشم ويأكل طبقًا فاسدًا وباردًا من الطعام، لا يستمتع به ولكنه يغصب على نفسه ليظل على قيد الحياة. الآن هو حي بكل ما في الكلمة من معنى، دبت فيه الروح وأصبحت الدماء تجري في عروقه من جديد. إذا كان من حقه أن ينتقم من الأمير فهل من حقه خيانة تضحية شذى؟

الجريمة التي ارتكبها الأمير هو القتل الخطأ، وعقابه ليس القتل كما أخبره القسيس في السجن وكما قرأ مليًا، ولكنه لا يهتم، رأسه يكاد ينفجر.. قدماه لا تقويان على حمله وصدره يضيق شيئًا فشيئًا. في النهاية.. ورفقةً بنفسه التي تكاد تموت في مكانها.. قرر أنه ليس مستعدًا لقتل الأمير الآن، وقرر أن يؤجل قتله للعام القادم. خرج من

المطعم وهو يشعر أن عبئًا بثقل جبال الأرض قد انزاح عن كاهله، أخذ تاكسي وتوجه إلى الفندق، قام بإخراج شريحة الهاتف الذي يتواصل من خلاله مع الأمير وشركته، كسر الشريحة والهاتف من بعدها. حزم حقيبته الصغيرة وتوجه إلى المطار، وفي خلال عشر ساعات كان يجلس في شقته الصغيرة ببيروت منتظرًا قدوم شذى في الغد. قام بتنظيف الشقة وتجهيزها لاستقبال ملاكه ذي البشرة البرونزية والشفاه تبنية اللون.

في اليوم التالي ذهب للسير قليلًا على البحر ليصفي أفكاره، لم يستطع إقناع نفسه بنسيان الأمير ومتابعة حياته، كل ما استطاع عمله هو إرجاءه للعام القادم.. لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا. ذهب لاستقبال شذى في المطار، كان استقبالًا حارًا بعث بدماء الحياة في عروقه بعد انقطاعها طوال الفترة السابقة. وصلا إلى الشقة قبل منتصف الليل بقليل، وجدت شذى أن أدهم قد وضع بروازًا زجاجيا ذا إطار خشبي أسود اللون حول الجملة التي كتبتها بالروج على حائط غرفة النوم "هل تنتظر عودتي كما أفعل؟".

- كانت كتابتها لفتة رائعة، قامت بتصبير وحدتي في الليالي المظلمة من دونك، وضعت البرواز لتظل الجملة مكانها للأبد.

دلف أدهم إلى المطبخ ليعد عشاءً خفيفًا لزوجته. خرج بعد عشر دقائق فوجدها عاكفة على الرسم في الشرفة، كان الرسم على اللوحة هو وجه أدهم، وجه قديم قامت برسمه من قبل، ولكنها أضافت إليه

عينين، رآها وهي تضع اللمسات الأخيرة على هذين العينين، لديهما نظرة يختلط فيها الانكسار بالأمل، الحزن الدفين بمحاولة السعادة، عينان تحملان بداخلهما الكثير من الجراح الغائرة، جراح تملأ الروح والوجدان، ولكنها جراح لا تنزف.

تمّت بحمد الله

محمد مجدي

٣/ ٥/ ٢٠١٤

الجريمة 4

[كل الأمور السيئة]

إذاً الجريمة التي حدثت لم تكن فقط جريمة قتل، إنما هو قاتل متسلسل إرتكب عدة جرائم قتل بنفسه لعدة أشخاص لا يربطهم ببعض أي شيء سوى هذا القاتل المحترف، القصة تبدأ بوعد مقدس قطعه القاتل على نفسه محاولاً التخلص من ثأر قديم جعله يعيش في عقدة ذنب لسنين طويلة، وفي كل مرة يثأر فيها للماضي يكتشف أن خيوط الشِباك تلتف حوله فيحاول التخلص منها بجريمة جديدة .. أربع جرائم تم التخطيط لها بذكاء رهيب، ومحاولات لا حصر لها للإمساك به .. قاتل محترف ذكي وظابط راهن نفسه والجميع على كشف ذلك القاتل فنتج صراع جديد بينهما ربما يقلب كل الموازين.

في هذة الرواية المثيرة نحاول كشف، كيف يرتكب القاتل جرائمه؟ ما الخطأ الذي يقع فيه كل مجرم ويتسبب في كشفه؟، هل الذكاء له حد؟، وكيف يمكن مواجهة كل ذلك الغضب وكل تلك الدماء ؟



محمد مجدي

كاتب مصري من مواليد القاهرة عام 1988، تخرج في كلية الاقتصاد بالجامعة الألمانية عام 2009.

صدرت روايته الأولى "داخل الغرفة الزجاجية" عام 2013 في 6 طبعات حتى الان ، وروايته الثانية "كل الأمور السيئة" عام 2014، في 4 طبعات حتى الآن.

تصميم الغلاف كريم آدم

